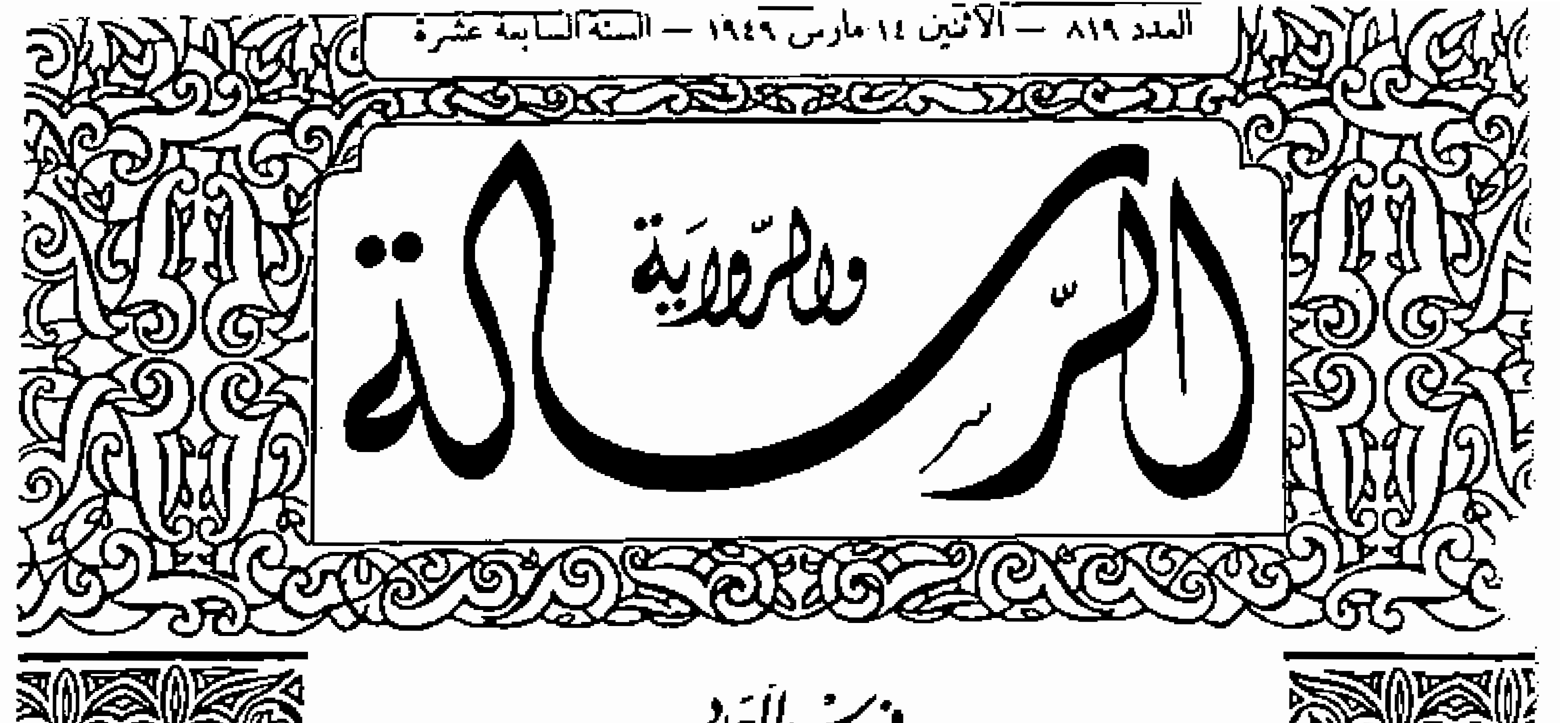


العدد ٨١٩ — الاثنين ١٤ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

فهرس العدد

٣٢٠٢٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


17 e Année No. 819 — Lundi — 14 — 3 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ١٤ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

هل الشقاق طبع في العرب ؟

جواب عن سؤال

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

وجهت هذا السؤال مفصلا إلى صديق الأستاذ الكبير ساطع الحصري بك المستشار الفني لجامعة الدول العربية . ولكن المقال لم يعجب الرقيب فلم يأذن بنشره ، ولما اطلع عليه الأستاذ أبو خلدون أجاب عنه بهذا البحث الذي تقرأه . وإني لأرجو بعد أن ينشر أن أعلق عليه بما يتفق مع رغبة الرقيب وواجب الحق وسياسة الرسالة . « الزيات »

صديق الأستاذ ...

لقد اطلعت على السؤال الذي وجهتموه إلي ، في مقالكم المعنون « هل الشقاق طبع في العرب ؟ » .

فقد أشرتم في المقال المذكور إلى حوادث الشقاق والتنافس والتخاصم التي توالت في تاريخ العرب ؛ واستعرضتم الأحزاب السياسية والفرق الدينية التي ظهرت بينهم ؛ ثم ذكرتم رأي ابن خلدون في هذا المضمار . وفي الآخر تساءلتم : « هل كتب الله على العرب أن يعيشوا أبداً بطبيعة البادية ونفسية النابة وعقلية القبيلة؟ »

فوجب علي أن ألبي طلبكم ، فأكتب إليكم ما أعتقده في هذه القضية الهامة . غير أني رأيت من الضروري أن أقف أولا أمام « المقدمات » التي صدرتم بها هذا السؤال ، قبل أن أحاول الإجابة منه إجابة مباشرة .

فاسمحوا لي أن أسألكم بدوري : هل تظنون أن الاختلافات التي ذكرتموها كانت من خصائص الأمة العربية وحدها ؟

أنا لا أشك في أن جوابكم من هذا السؤال سيكون بالنفي ؛ لأنكم تعرفون جيداً — كما يعرف ذلك كل من يستعرض التاريخ العام — أن تواريخ الأمم الأخرى لم تخل من أمثال تلك الاختلافات .

فيترتب على ذلك إذن أن أنقل البحث إلى كمية هذه الاختلافات وشدتها ، فأسألكم : هل تعتقدون أن الاختلافات السياسية والدينية التي حدثت في تاريخ العرب كانت أكثر وأشد وأعنف من التي تجلت في تواريخ الأمم الأخرى ؟

أنا أعرف أن الآراء الشائعة الآن لا تدع مجالا للتفكير ملياً في هذا السؤال ؛ لأنها تحمل الأذهان على الرد عليه فوراً بالإيجاب .

وأعترف بأني أنا أيضاً كنت — مدة من الزمن — من المتأثرين بهذه الآراء الشائعة ، ومن المسلمين بأن تاريخ العرب يشذ في هذه القضايا عن تواريخ الأمم الأخرى شذوذاً كبيراً . غير أني بدأت أشك في صحة هذه الآراء الشائعة عندما أخذت أتعمق في دراسة التاريخ العام ؛ وازددت شكا فيها كلما تقدمت في هذه الدراسة ؛ إلى أن أصبحت أعتقد اعتقاداً جازماً بأنها لا تتفق مع الحقائق التاريخية الثابتة أبداً ؛ لأنها لا تقوم على مقارنات شاملة ، بل تستند إلى استقراء ناقص جداً .

إننا ننفعل ، ونتألم ، ونغضب .. عندما نقرأ أخبار الاختلافات التي حدثت في تاريخ العرب .. ولا سيما عندما نتتبع نتائج هذه

الرومانية لم تعش سالمة من الاختلافات ، بل إنما عاشت بالرغم من الاختلافات ، وأما أخلاف الرومان القدماء ، فلا ننس أنهم عاشوا متفرقين متخالفين مدة لا تقل عن خمسة عشر قرناً .

وإذا تركنا السلطنات القديمة جانباً ، وانتقلنا إلى الدول المعاصرة لنا ، وتتبعنا أحوالها الماضية — طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة — وصلنا إلى نتائج مماثلة لما ذكرناه آنفاً .

ولنأخذ فرنسا مثلا ؛ فقد كان من المعلوم أنها أسبق الدول الأوربية إلى الوحدة السياسية الكاملة ، والتماسك القوى المتين ، ولكنا إذا استعرضنا أحوالها خلال القرون التي ذكرناها آنفاً وجدناها بعيدة عن الوحدة كل البعد ، ومسرحاً لشتى أنواع الخلافات والحروب .

أنا لا أود أن أطيل الحديث في هذا الموضوع ، ولذلك أكتفى بنقل كلمة كتبها مؤرخ فرنسا الشهير « أرنست لافيس » لتلخيص تلك الأحوال ، قال المؤرخ :

« لقد مضى عهد من التاريخ كانت فيه فرنسا شبيهة بمقدونيا الحالية منقسمة إلى أجزاء كثيرة ، متخالفة ، متنابذة ، متنافسة ، متخاصمة . وقد وجب أن تسيل الدماء مدراراً حتى تلتحم هذه الأقسام المختلفة ، فتصل فرنسا إلى وحدتها الحالية ... » .

هذه كانت أحوال فرنسا التي سبقت جميع الدول الأوربية في طريق الاتحاد . وأما إذا أنعمنا النظر في تواريخ الدول الغربية الأخرى ، فنجد فيها أيضاً أحوالا مماثلة لذلك تجلت بمقياس أوسع ، وبشدة أعظم ، واستمرت مدة أطول .

لا بد من أن نتذكر — في هذا الصدد — أن ألمانيا كانت منقسمة إلى أكثر من ثلاثمائة دولة ودويلة حتى أوائل القرن الماضي ، وكانت لا تزال منقسمة إلى تسع وثلاثين دولة قبل ثمانين عاماً فقط !

إن اتحاد هذه الدول لم يتم إلا بعد جهود كبيرة وتضحيات عظيمة ، وهذه الجهود قد اجتازت مراحل عديدة أطوارنشل الية

ولهذا كله أستطيع أن أقول بكل تأكيد : إننا كلما توسعنا وتعمقنا في دراسة تاريخ الدول الأوربية ازددنا يقيناً بأن معالم الاختلاف والانقسام فيها لم تكن قط أقل من التي تجلت في تاريخ العرب بوجه عام .

إني أقول هذا بكل تأكيد ، مع علمي بأني أخالف بذلك آراء الكثرة الساحقة من الكتاب والباحثين .

وقد فكرت ملياً في الأسباب والعوامل التي حملت الرأي العام على التباعد عن طريق الصواب في هذه القضية الهامة ، وأعتقد أنني وصلت إلى معرفتها بكل وضوح :

إن مراكز رؤيتنا لتاريخ العرب تختلف — بوجه عام — عن مراكز رؤيتنا لتواريخ الأمم الأخرى .

فنحن ننظر إلى تواريخ الأمم الأخرى من بعد نظرة إجمالية فندرك خطوطها الأساسية العامة دون أن نتيه في تفاصيلها الفرعية .

ولكننا ننظر إلى تاريخ العرب من قرب نظرة تفصيلية فنطلع على كثير من تفاصيله دون أن نحيط علماً بخطوطه الأساسية .

وأستطيع أن أقول : إن موقفنا تجاه التاريخ العام موقف رجل يتفرج على الجبل من السهل البعيد .

وأما موقفنا تجاه تاريخ العرب ، فهو موقف رجل يسير في قلب الجبل ويتغلغل في وهاده .

ومن المعلوم أن الجبال تتألف عادة من وهاد ووديان ، ومرتفعات ومنخفضات ، وهضاب ومنحدرات ، فلا تبدو عالية شامخة ، إلا لمن ينظر إليها من بعيد ، ويدرك شكلها العام دون أن يتيه بين خطوطها الفرعية المعقدة ...

إن تواريخ الدول الأوربية تبدو لنا جبالا مرتفعة شامخة ، لأننا ننظر إليها بنظر المؤلفين الأوربيين ، ومن الخارج ومن البعد ، فلنغير موقفنا منها ونظراتنا إليها ، وذلك بالتغلغل فيها ، نرى عندئذ أنها مؤلفة من وهاد ووديان بالرغم من منظرها الخارجي العام .

وأما تواريخ الدول العربية ، فتبدو لنا مجموعة مرتفعات ومنخفضات مشوشة ومعقدة ، لأننا ننظر إليها بنظر الأخباريين القدماء ، ومن داخلها ؛ فلنغير موقفنا منها ، ولننظر إليها من بعد — نظرة تسمو على النزعات — فنرى عندئذ أنها أيضاً مرتفعة شامخة بالرغم مما فيها من وهاد ووديان .

يجب علينا أن نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا على الدوام ، وأن نسعى لتوحيد نظراتنا إلى صحائف التاريخ القوى والتاريخ العام ، ولنعدل عن استعمال نظارات مكبرة العيوب في الأولى ، ومصغرة للعيوب في الثانية ، كما اعتدنا ذلك إلى الآن .

وعندما نفعل ذلك نفهم حق الفهم أن الأحكام الشائعة بيننا على تاريخ العرب ، إنما هي وليدة نظرات خاطئة ، ومقارنات قاصرة ، ولهذا السبب كانت في حاجة شديدة إلى التصحيح والتقويم بوجه عام

(البقية في العدد القادم) أبو خلدون ساطع الحصري

ضــــوء علمي
على مشكلة اللاجئين العرب

للأســـتاذ عمر حليق

في سنة ١٩٤٦ شهد أمام لجنة التحقيق الانجلو — أمريكية أستاذ يهودي هو البرفسور فرانك نوتستين رئيس دائرة علم السكان (ديموغرافيا) في جامعة برنستون الأمريكية الشهيرة من مستقبل الكيان اليهودي في فلسطين من الناحية العلمية الصرف وعلى ضوء مشاكل السكان . وكانت خلاصة تحقيقاته وتحليلاته المعززة بالأرقام والدراسات الإحصائية تفيد أن تزايد السكان العرب في فلسطين هو أكبر خطر يهدد مطامع اليهود فيها وصرح نوتستين بما يلي بالحرف الواحد :[1]

« إن من الصعب جداً أن يتصور المرء الظروف التي يستطيع اليهود أن يصبحوا فيها أكثرية في فلسطين . فإن العرب (ونسبة تزايد السكان بينهم بفلسطين أعلى نسبة في العالم على الإطلاق) حائزون لجميع الإمكانيات الطبيعية والاجتماعية لأن يحتفظوا بهذه النسبة المرتفعة . ومهما يكن عدد اليهود المتدفقين على فلسطين كبيراً فإن مقدرة الزراعة والصناعة اليهودية على استيعابهم ستظل محدودة مقيدة بعوامل اقتصادية واجتماعية ، منها الرغبة في الاحتفاظ بمستوى للمعيشة مرتفع ، ونزعة اليهود الأوربيين لتحديد نسلهم بولد أو اثنين ، وطبيعة الاشتراكية التي تجعل اليهودي في فلسطين غير ميال إلى بناء كيان عائلي كبير . وهذا عكس ما ينزع إليه العربي

وحتى لو تسنى لليهود أن ينشئوا لهم دولة فإن من المستبعد أن يستطيعوا الاحتفاظ بالسيادة السياسية في كل فلسطين أو في جزء منها ، بسبب هذا التزايد الهائل بين السكان العرب . وحتى لو عززت اليهود دولة أو دول خارجية كبرى فإن هناك عوامل طبيعية واجتماعية ديمغرافية (بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية) تجعل تزايد السكان بين العرب أكبر خطر حقيقي يواجه مطامع اليهود في فلسطين .

وعلى ضوء هذه الحقائق فإن أكبر الظن أن حماسة اليهود ونشاطهم والجهد والمال والتضحية الإجماعية التي بذلوها لبناء الدولة اليهودية ، وجعلها دولة حديثة مزدهرة ستذهب سدى . وسيجد اليهود أنفسهم بحكم هذه العوامل الديمغرافية عاجزين عن تحقيق التفوق العددي والسيطرة السياسية للاحتفاظ بالسيادة الفعلية في فلسطين » اهـ .

هذه شهادة عالم يهودي مهما قلبتها وجدت فيها ، على ضوء علم السكان ، حقائق راهنة تلقي ضوءاً قوياً على مشكلة اللاجئين العرب يساعد على تفهم مصلحتهم ومصلحة الوطن الفلسطيني الذي يحبونه ويتطلعون إلى الاستقرار في ربوعه إلى أن تهب عليهم وعلى إخوانهم في الوطن العربي الأكبر رياح مواتية لإتمام الصراع الفاصل مع اليهودية العالمية في أرض الميعاد .

وهذه الناحية العلمية تلقي كذلك ضوءاً على هذا الجدل الذي يسود الدوائر العربية الآن بصدد مسألة العرب الذين أقصاهم الإرهاب والإجرام اليهودي عن ديارهم ، وهي مسألة ستحتل مكان البروز من أعمال لجنة التوفيق التي بعثت بها هيئة الأمم إلى فلسطين والتي تتناقل الصحف الآن أنباء نشاطها .

فهناك رأيان بصدد مشكلة اللاجئين العرب : رأي يدعو إلى العودة واستعادة الأموال والممتلكات حتى ولو لم تسو المسألة الفلسطينية تسوية نهائية . والرأي الآخر يتناول مسألة العودة هذه من ناحية عملية ، فيقول إن طبيعة السلوك اليهودي في منطقة نفوذه في فلسطين لا تدعو مطلقاً إلى اطمئنانه على حياة نصف مليون من العرب .

والواقع أن عملية اليهود في إجلاء السكان العرب بواسطة الإرهاب اليهودي عملية مستمدة من الحقائق البينة التي أكدتها شهادة نوتستين هذا وغيره من خبراء مشاكل السكان . والقيادة الصهيونية الدولية أمهر من أن لا تشعر بخطورة هذه الحقائق وأن لا تحتال للتغلب عليها بواسطة مذابح « دير ياسين » وحيفا وطبريا وألف حادثة وحادثة من أعمال الإجرام اليهودي المنظم

(١) Frank W, Notestèn pand Ernest Jurkat Population Problems of Palestine.

ولو أخذنا تعليلات نوتستين هذا من ناحيتها العلمية لاستطاع الداعون إلى عودة اللاجئين العرب إلى منازلهم وديارهم وحقولهم ومرابعهم في فلسطين استنباط حجج قوية قد تكون قاسية تتطلب روحاً جبارة وأعصاباً حديدية وتنظيماً قوياً ووعياً سياسياً حساساً ، ولاستطاع هؤلاء الداعون إجابة مخالفيهم في الرأي على أساس « الأمر الواقع » كذلك .

فإن إقامة أقلية عربية كبيرة في منطقة احتلال اليهود ، له ذيول عملية بعيدة الخطورة والخطر على مستقبل الكيان اليهودي إذا تحققت لهذه الاقلية العربية حقوقها الثقافية التامة وضمانات سياسية واقتصادية . وتوفير هذه الشروط مستطاع عملياً وقانونياً ودولياً . وستكون هذه الأقلية العربية مكونة من ستمائة ألف شخص على الأقل وهو عدد السكان العرب بموجب خارطة الأمم المتحدة للتقسيم . ولن يستطيع اليهود حين يعود العرب إلى ديارهم جلب أكثر من ١٠٠ ألف إلى ١٥٠ ألف يهودي من الخارج خلال الأعوام الخمسة القادمة ، وذلك بسبب المقدرة الاقتصادية اليهودية على الاستيعاب ، وهي مقدرة ستحددها تحديداً سيئاً إغلاق الأسواق العربية في وجه الإنتاج اليهودي ومنع الجوالي اليهودية في الشرق العربي من أن تعود إلى فتح المبادلة التجارية مع يهود فلسطين وتعزز اقتصادياتهم كما فعلت في السنين السابقة عن طرق إيطاليا واليونان وغيرها . وسبب آخر هو طبيعة المجتمعات اليهودية في الخارج . فإن يهود أمريكا لن يتركوا بحبوحة الرخاء في العالم الجديد لاختيار تجربة الصهيونية الشيوعية في فلسطين ، وكذلك حال يهود غربي أوربا .

وقد تكاثرت مؤخراً الأنباء بأن النظم الشيوعية القائمة في شرق أوربا ، ونسبة أولي الأمر من اليهود فيها كبيرة ، قد بدأت تحول بين هجرة ما تبقى من اليهود في منطقة النفوذ الشيوعي لتحتفظ بسند لها أمام سخط الأكثرية من غير اليهود .

والقيادة الصهيونية تتطلع إلى أن تسد هذا العجز في سياسة تهويد فلسطين ومشكلة التمدد في برنامج الهجرة الطامة — تتطلع إلى جلب الـ ٨٠٠ ألف يهودي الذين يستوطنون مختلف أقطار الشرق العربي وشمالي أفريقيا . وهذه ناحية لا يبدو أن صناع السياسة في العالم العربي يعيرونها التفاتة [illegible]

ولقد كان عدد العرب في فلسطين في مستهل الغزوة اليهودية (١٩١٩) حوالي ٦٥٠ ألفاً فأصبحوا بعد مضي ٢٥ عاماً مليوناً ونصف المليون تقريباً ، وذلك بسبب هذه العوامل الديمغرافية الفريدة التي ذكرها الخبير نوتستاين وغيره من الباحثين في مشاكل السكان . فنستنتج من ذلك أن بقاء ٦٠٠ ألف عربي بين ظهراني ٩٠٠ ألف يهودي الآن سيقلب أوضاع هذه الأكثرية اليهودية رأساً على عقب في بضعة عشر عاما . وهذه طريقة عملية على غاية من الأهمية في تقرير مصير المطامع الصهيونية في فلسطين والشرق العربي .

كل ذلك بالإضافة إلى العواقب السياسية الخطيرة في العالم العربي إجمالا وهي التي تستلزمها رعاية مصالح السكان العرب في منطقة النفوذ اليهودي ، وما سيترتب على ذلك من استعداد نفساني وعسكري يضمن دوام اتجاهات العرب نحو القضية الفلسطينية كلما ارتفعت شكاوى العرب المقيمين بين ظهراني اليهود في فلسطين .

وإذا كان الداعون لتفادي عودة اللاجئين العرب إلى ديارهم في المنطقة اليهودية يبنون دعوتهم على نظرة عملية واقعية فإن الداعين إلى العودة يبنون دعوتهم على أسس عملية واقعية صرفة مستمدة من طبيعة التزايد الهائل بين السكان العرب ، وطبيعة مستقبل الصراع بين اليهودية العالمية والوحدة العربية .

والرياح الدولية لا بد أن تهب مواتية للسفينة العربية عاجلا أو آجلا . وإن الحرب الفلسطينية قد أخذت تتمخض عن نزعة عسكرية صادقة واتجاه عملي إلى الإصلاح في الجهاز الإداري والنظم السياسية والاقتصادية والوعي الاجتماعي .

هذه تعليلات ولفتات قد تفيد عند البت في مستقبل اللاجئين العرب . ومسألة البت أكبر من أن تعالج في بحوث عارضة وهي تتطلب دراسات شاملة لا يصلح أن تكون العاطفة أساسها الوحيد . فهذا الاتجاه العاطفي إذا تجرد من المرونة الصائبة قد يولد عكس ما يتوخاه العاطفون ، ويسبب ارتجالا في السلوك على النحو الذي صبغ تاريخ القضية الفلسطينية بطابع النكبات المتلاحقة .

(نيويورك)

عمر حليق
معهد الشؤون العربية الأمريكية

على رسلك يا صديقي

بيني وبين الشاعر الزين

للأستاذ محمد الأسمر

كتب صديق أديبنا الفاضل الأستاذ عباس خضر كلمة عنوانها « الأسمر يسطو على شعر الزين » ذكر فيها أنني سطوت على صديق الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد الزين فسرقت أبياتاً ، أدخلتها في قصيدتي التي رثيت بها المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا . والقصيدة المذكورة أكثر من خمسين بيتاً ، أبياتها الأول ما يأتي :

أفي كل يوم دمعة خلف غائب ... وفي كل يوم لوعة بعد غارب
رجال كأمثال النجوم ، فثاقب ... مضى وهو أثاع على إثر ثاقب
لأوشك دمعي أن تجف شئونه ... على كل ماض ليس يوماً بآيب
إذا ما انتهينا من رثاء لذاهب ... بدأنا رثاء بعد ذلك لذاهب
أما يستريح الشعر في كل ساعة ... رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟!
ثريا رجالات تهاوت نجومها ... وكانت على الوادي ثريا الكواكب

وقال صديقنا الفاضل إن أبيات الزين التي أخذنا منها أبياتنا ما يأتي :

أفي كل حين وقفة إثر ذاهب ... وصوب دم أقضي به حق صاحب
أودع صحبي واحداً بعد واحد ... فأفقد قلبي جانباً بعد جانب
تساقط نفسي كل يوم فبعضها ... بجوف الثرى ، والبعض رهن النوائب
فيا دهر دع لي من فؤادي بقية ... لوصل ودود ، أو تذكر غائب
ودع لي من ماء الجفون صبابة ... أجيب بها في البين صيحة ناعب

والقارئ لأبياتي ولأبيات الزين رحمه الله ، لا يجد كل هذا التهويل الذي أثاره الناقد الفاضل ، وإيضاحاً لذلك أقول : إن قصيدة الزين رحمه الله لا علم لي بها ، فهي ليست من محفوظاتي التي حفظتها في صباي ، وليست من القصائد التي قرأها الزين لي أو سمعتها منه ، ولا هي من المتداول المعروف بين الناس ، ومن الاتفاقات التي ليست بالعجيبة أن يحزن الزين لفقد أصدقائه ، وأحزن أنا لفقد أصدقاء لي ، أو لفقد رجالات من رجالات مصر ، فيقول كلانا قصيدته من بحر وروي واحد ، فيجيء بعد ذلك تشابه في بعض الألفاظ في بيت أو بيتين ، أو في بعض المعاني المطروقة للجميع ، وقد قلنا في مثل ذلك ندفع تهمة السرقة عن العقاد حينما كتب إلينا أديب ناشئ يقول إن العقاد سرق حينما قال :

فقبلت كفيه وقبلت ثغره ... وقبلت خديه وما زلت صاديا

فقد زعم الأديب الناشئ أن العقاد سرق هذا المعنى من قول القائل :

أعانقه والنفس بعد مشوقة ... إليه وهل بعد العناق تدان ؟
وألثم فاه كي تزول حرارتي ... فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله ... سوى أن يرى الروحين يمتزجان

نقول إننا قلنا لهذا الأديب الناشئ، إنه لما كانت العواطف تتشابه فقد يجيء الشعر متشابهاً لأن الألفاظ وهي أداة التعبير عن العاطفة ملك لكل شاعر ، فإذا كانت العواطف المتشابهة يتفق فيها الكثير من الشعراء ، وإذا كانت الألفاظ التي هي أداة التعبير ملكاً لجميع الشعراء ، فإنه والحالة هذه يجدر بالناقد أن يتريث في حكمه على فلان أنه سرق من فلان .

هذا كلام قلناه قبل أن يموت دولة النقراشي باشا ، وقبل أن يرثيه الراثون ، ندفع به تهمة وجهت إلى شاعر ، ونبصر الناشئين بالنقد السليم وصراطه المستقيم .

يقول ناقدنا الفاضل متحدثاً عني ما يأتي : « على أنني عجبت للأسمر وما هو بالعاجز عن النظم أن يكون أخذه من شعر الزين هكذا ظاهراً مكشوفاً » وأنا أقول لصديقنا الناقد إذا كنت تعلم أنني لست عاجزاً عن النظم فهلا درأت الحدود بالشبهات ؟! وإذا كنت تعلم أنني لست عاجزاً عن النظم فهلا ترفعت يا صديق عن أن تجعل من الحبة قبة ؟ وهلا أرحت بالك من أن تشغله بأنني سرقت ألفاظاً هي ملك للجميع ، أو أغرت على معنى ليس من مبتكرات المعاني واختراعاتها ، قال الجرجاني :

« ولست تعد من جهابذة الكلام ولا من نقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه ، والمبتذل الذي واحد أحق به من الآخر وبين المختص الذي حازه المبتدي فملكه » وقالوا « إن السرقة في البديع المخترع لا في المعاني المشتركة » وقالوا « إن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر فتلك الواردة » .

وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال الشعر جادة وربما وقع الحافر على موضع الحافر !!

ألم يرَ صديق الأستاذ عباس على ذلك وأمثال ذلك قبل أن يجلس على منصة حكمه بمجلة الرسالة الغراء ، ثم يقول « الأسمر يسطو على شعر الزين » خصوصاً إذا كان صديقنا يقول إن الأسمر ليس بعاجز عن نظم الشعر .

ألم يقل امرؤ القيس (يقولون لا تهلك أسًى وتجمل) وقال طرفةُ (يقولون لا تهلك أسًى وتجَلّدِ) ألم يقل امرؤ القيس :

وشمائلي ما قد علمتِ وما نبحتْ كلابك طارقاً مثلي

وقال عنترة :

وإذا صحوتُ فما أقصرُ عن ندًى وكما علمتِ شمائلي وتكرمي

ثم ألم يقل عنترة :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ عليها الأسد تهتصرُ اهتصارا

وقال عمرو بن معديكرب :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ تحيةُ بينهم ضربٌ وجيع

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخراً :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ فدارت بين كبشيها رحاها

ثم ألم يقل أبو تمام :

بمحمدٍ ، ومسوّدٍ ، ومحسّدٍ ومكرمٍ ، وممدّحٍ ، ومُمزّلِ

وقال البحتري :

ذاك المحمدُ والمسوَّدُ والمكرَّمُ والمحسدُ

* * *

هذا قليل من كثير تفيض به كتب الأدب والأمثلة على ذلك كثيرة من شعر المتقدمين والمحدثين ، ولولا خوف الإطالة ذكرنا ما جاء في الكتب ، وذكرنا ما لحظناه نحن ولم تذكره الكتب ، ونحب أن نذكر هنا مما لم تثبته الكتب قليلا من الأمثلة :

قال امرؤ القيس متحدثاً عن نفسه في مرضه :

« ولكنها نفس تساقط أنفسا »

قال الزين رحمه الله في الأبيات التي ذكرها صديقنا وصديقه الأستاذ عباس :

تساقط نفسي كلَّ يوم فبعضها

بجوف الثرى والبعض رهنُ النوائب

وكذلك قال عبد الله بن الخياط الأندلسي يصف الليل :

كأنه راهب في المسح ملتحفٌ شدَّ المجرَّ له وسطاً بزنّار

وقال البارودي في قصيدة عينية يصف فيها الليل بيتاً لا أذكر جميعه الآن جاء في آخره قوله : « كالراهب المتلفع » ... ورثى شوقي رحمه الله صديقه المغفور له إسماعيل باشا صبري بقصيدته التي قال في أولها :

أجل وإن طال الزمان موافِ أخلى يديك من الخليل الوافي

وهي قصيدة معروفة لدى خاصة الأدباء وعامتهم ، ثم جاء الجارم رحمه الله فرثى دولة النقراشي باشا من بحر هذه القصيدة ورويّها فوقع في موافقات لفظية كثيرة استرعت أنظار الأدباء لمعرفة خاصتهم وعامتهم قصيدة شوقي ولكنها لم تسترع نظر ناقدنا الفاضل ... ولو أردنا سرد ما نعلمه من هذه الأمثلة ، ضاقت به صفحات مجلة الرسالة .

وبعد : فهذا ما رأينا أن نعلق به على بعض ما جاد بكلمة صديقنا ، أما بقية النقد من هذه الألفاظ التي تخيرها لنا الصديق فليت لدينا أخواتها لنتحف بها صديقنا كما أتحفنا ، ولو أنها كانت لدينا أمسكناها عنه ، فقد رُضْنا أنفسنا على أن لا نتحف بها صديقاً كالأستاذ عباس ، مهما ألحَّ وألحف وتابع ولاحق !!

ولا يفوتني أن أشكر له هذه العناية المتلاحقة بكل ما نقوله في بعض المناسبات ، فتعليقه على ما نقول أيا كان لون هذا التعليق تحليد من لدنه لنا ، وهو عناية على كل حال ! ويا حبذا لو تفضلت الرسالة الغراء ، وهي سجلٌ أدبي فنشرت قصيدة الأستاذ الزين كاملة ، ثم تفضلت فنشرت قصيدتي معها ...

رحم الله الأموات ، وغفر الله للأحياء .

محمد الأسمر

من مؤلفات نقولا الحداد العلمية

عالم الذرة أو الطاقة الذرية	Atomic Energy	٣٠
هندسة الكون بحسب ناموس النسبية	Relativity	٣٥
فلسفة التفاحة أو جاذبية نيوتن	Newtons Oravitation	١٠

تطلب هذه الكتب من دار الرسالة ومن المؤلف في ٢ ش البورصة الجديدة ومن بعض المكاتب خالصة أجرة البريد

نصير الدين الطوسي

حامي الثقافة الاسلامية

وتراث العرب الفكري إبان الغزو المغولي

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

أما ياقوت الحموي فإنه قد توفي عام (٦٢٦ هـ) أي قبل وفاة الطوسي بـ (٤٦) عاماً ، وفي هذا العهد لم يكن الطوسي قد اتصل بهولاكو ، إذ أنه خرج من سجن قلعة الموت واصطحبه هولاكو في عام ٦٥٤ هـ وإذن فالمدارس والحياة العلمية التي يصفها ياقوت كانت في مراغة قبل مجيء الطوسي إليها ، ولربما كان الطوسي وقت وفاة الحموي مؤلف معجم البلدان — في طوس حيث كان يطلب العلم .

والغرض أن المراغة كانت مدينة علم وأدب فاختارها الطوسي مقراً لمدرسته . ويقول جورج سارتون في كتابه المدخل إلى تاريخ العلوم : « إن حسن مناخها وصلاح جوها للإرصاد الفلكية بصورة ممتازة — شجع الطوسي على بناء مرصده فيها » وقد التف حول الطوسي فيها جمهور من العلماء وطلاب العلم حتى أنه عندما رحل منها إلى بغداد في عام (١٢٧٤ م) ارتحل في جيش جرار منهم . قال ابن شاكر (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) في فوات الوفيات (وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه فأقام بها مدة أشهر ومات) .

فالطوسي في جمعه رجال العلم حوله حفظ سلسلة الثقافة الإسلامية في الشرق موصولة الحلق متصلة الأسباب وأبقى منار العلوم مضيئاً لم تطفئه هجمات الأمم الابتدائية ؛ وإذن فأي خدمة عظيمة توازي ما قام به الطوسي رحمه الله ؟

نعم لقد ألب عليه بعض المتعصبين من جهلاء المتقشفين الذين أمسكوا بقشور الدين وخسروا لبابه — لقد أثار عليه حفيظة هؤلاء تشيعه ، ولا ريب أن هذا العامل الذي لا أهمية له في الأوساط المثقفة العصرية — كان في العصور الوسطى ذا أثر في توجيه نقد الناقدين وتسديد حملاتهم الزائفة . ولا يهم مؤرخ الحضارة اليوم ما كان يعتنقه الشخص من عقيدة دينية بقدر مايهمه من آثاره العلمية والأدبية وما أنتجته عبقريته ؛ فإذا وزنا قيمة النصير بهذا الميزان رجحت كفته ، فقد رأيت في تتبعاتي الخاصة مدى اهتمام الغربيين بهذا الفيلسوف الرياضي العظيم ففي الوقت الذي ترى فيه الرجعيين الجامدين من المتزمتين يكيلون السباب جزافاً لهذا الفيلسوف العظيم نجد كبار مؤرخي الحضارة الإسلامية يمجدون لعظمة العبقرية النادرة في شخص نصير الدين الطوسي وينسبون إليه المعجزات في الرياضيات ويسجلون له الابتكارات والاكتشافات والاختراعات الرائعة فتسخر من هؤلاء الجهلاء الذين تحاملوا على كرامة الطوسي ، وأساؤا إلى سمعة المسلمين في جهلهم بقيم رجال العلم وانصياعهم لدواعي التعصب الذميم . لقد كان أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (٦٩١ — ٧٥١هـ) يخبط خبط عشواء (رحمه الله وعفى عنه) ، إذ قال في ص ٢٩٧ من الجزء الثاني من كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان) .

« وصارع محمد الشهرستاني ابن سينا في كتاب سماه (المصارعة) أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم ، فقام له نصير الإلحاد (يقصد نصير الدين الطوسي رحمه الله) وقعد ، ونقضه بكتاب سماه (مصارعة المصارعة) ووقفنا على الكتابين — نصر فيه : أن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام وأنه لا يعلم شيئاً وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره ولا يبعث من في القبور . وبالجملة فكان هذا الملحد (أي نصير الدين) هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » . ومن قرأ كتب الطوسي في علم الكلام آمن أن ابن قيم الجوزية مفتر على الرجل ، وأن كتب الطوسي في الإيمان والعقائد وصلت إلى براهين ، ولم يصل إليها مؤلف إغاثة اللهفان إلى الباطل والبهتان . وقد شرح كتاب الطوسي تجريد العقائد جماعة من العلماء والمتكلمين الأفاضل وفي مقدمهم المولى علي القوشجي الثاني

من سمرقند والعلامة الحلي من العراق . ثم يستمر ابن الجوزية في هذياته فيقول : (والفلسفة التي يقرؤها أتباع هؤلاء اليوم هي مأخوذة عنه (أي عن الطوسي) وعن إمامه ابن سينا . وبعضها عن أبي نصر الفارابي وشيء يسير منها من كلام أرسطو وهو مع قلته وغثاثته وركاكة ألفاظه كثير التطويل لا فائدة فيه . وخيار ما عند هؤلاء فالذي عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم أهون منه .. » ولا أدري كيف حكم بركاكة ألفاظ أرسطو في لغته اليونانية التي أعتقد أنه يجهلها !

ولنعد إلى حديث المستشرق العلامة الفرنسي سديو في كتابه تاريخ العرب العام .

قال (ص ٢٦٩ من تعريب عادل زعيتر) دخل المغول بغداد عنوة فانتهبوها في سبعة أيام لحرقوا بعض المخطوطات الثمينة التي وجدوها في المكتبات والمدارس وألقوا بعضها الآخر في نهر دجلة فأصبحت مياهه من مدادها على حسب رواية مؤرخ عربي مبالغ فيها .

نهب المغول ما اشتملت عليه مدينة المنصور بغداد من الكنوز العجيبة مع أنهم سلبوا بخارى وسمرقند ومرو ونيسابور وأصفهان فيما مضى ، وخنق المستعصم بأمر هولاكو لجرت جثته الدامية تحت أسوار بغداد التي كانت شاهدة على عظمة العباسيين وانحطاط هؤلاء وذلهم .

وامحى العرب بين تلك الثورات (الداخلية) المتصلة — أمام برابرة الشمال والترك والمغول ولم يبق لهم كيان سياسي خارج جزيرة العرب أي تواروا من مسرح تاريخ أمم الشرق ؛ بيد أن الأثر العظيم الذي طبعوا به الحضارة لا يزال ظاهراً ، ولم يؤد ما وقع في آسيا من الانقلابات إلى غير تأييده بأسطع بيان ؛ فقد رأينا أن ملكشاه السلجوقي اقتبس من مدرسة بغداد إصلاح التقويم الفارسي ، وأن محموداً الغزنوي اتخذ مشاوراً له ذا التأثير العظيم في عصره العبقري العالم البيروني .

ولما ظهر هولاكو المغولي الذي لا يعرف كيف يصون من اللهب الآثار الرائعة التي جمعت بفضل ذوي البصائر أذعن لنفوذ نصير الدين الطوسي فأذن لهذا الرياضي الشهير في إقامة مرصد فخم بمراغة .

ولما أصبح أخوه (كوبلاي) عاهل الصين نقل إلى ممالكه ابن السماء معارف العرب . ولما مضى قرنان قامت على أنقاض الدولة المغولية دولة تيمورلنك الذي اعتقد وهو على رأس الترك الشرقيين أنه مرسل من الله ليملك آسيا بأسرها فخلفه ابنه شاهرخ وحفيده (ألوغ بك) فعد هذان الأميران ممثلي المدرسة العربية الأخيرين ، ثم كان للهندوستان التي أنارها علم البيروني منذ عهد أصحاب غزنة بابن الأخ الصغير لألوغ بك والمؤسس لدولة المغول في الهند (بابر — كان للهندوستان حافز منير إلى ثقافة العرب (في عهد بابر) انتهت شهادة المستشرق سيديو للعرب .

ولنصغ إلى شهادة مستشرق آخر هو السنيور كرلو نلينو الذي كان أستاذاً بالجامعة المصرية وبجامعة بلرم بإيطاليا (قديماً) فقد جاء في كتابه (علم الفلك : تاريخه عند العرب في القرون الوسطى) وهو ملخص المحاضرات التي ألقاها بالجامعة المصرية ، وقد طبع الكتاب بمدينة روما سنة ١٩١١ م .

قال نلينو : « أما كتب العرب الفلكية فيجوز تقسيمها إلى أربعة أنواع ؛ الأول ، الكتب الابتدائية على صفة مدخل إلى علم الهيئة الموضح فيها مبادئ العلم بالإجمال ، ودون البراهين الهندسية كالجاري في أيامنا في كتب الكوزموغرافيا — ومن هذا النوع كتاب التذكرة لنصير الدين الطوسي وكتابه غير مطبوع ، ومنها الملخص في الهيئة للجغميني المتوفى سنة ٧٤٥ هـ (الموافق ١٣٤٤ م) طبع في إيران مع شرح قاضي زادة الرومي المتوفى في نحو منتصف القرن التاسع [1] .

النوع الثاني ، الكتب المطولة المستقصى فيها كل العلم المثبتة لجميع ما جاء فيها بالبراهين الهندسية المتضمنة أيضاً لكافة الجداول العددية التي لا غنى عنها في الأعمال الفلكية وهذه

(١) لقد سبق لي أن كتبت مقالا في الرسالة الغراء في العدد (٧٨٨) بعنوان جهود العرب المنسية في الفلك وبوقته اجتهدت أن أعثر على ترجمة الجغميني فلم أنجح وكذلك لم أعرف تاريخ وفاته حتى أن حاجي خليفة نفسه في كشف الظنون (كتابه) — أيضاً لم يعثر على تاريخ وفاة الجغميني فوضع مكان التاريخ أصفاراً ولم أدر أين عثر هذا المستشرق الإيطالي نلينو — على تاريخ وفاة الجغميني ولا شك أن في مكتباتهم من المصادر المخطوطة ما ليس لدينا منه شيء .)

الكتب على منوال كتاب المجسطي لبطليموس فمنها تحرير المجسطي لنصير الدين الطوسي ونهاية الإدراك في دراية الأفلاك لقطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (وهو تلميذ نصير الدين)

قال نلينو و (النوع الثالث) الكتب المعدة لأعمال الحساب والرصد فقط المسماة أزياجا أو زيجات أو زيجة، ولفظ زيج أصله من اللغة البهلوية التي كان الفرس يستخدمونها في زمن الملوك الساسانيين [1] يقول نلينو في هذه اللغة زيك معناه السدى الذي ينسج فيه لحمة النسيج، ثم أطلق الفرس هذا الاسم على الجداول العديدة التي يبنى عليها كل حساب فلكي مع إضافة قوانين عملها واستعمالها مجردة في الأغلب عن البراهين الهندسية. ومنها الزيج الصابي لمحمد بن جابر البتاني المطبوع بروما في ثلاثة أجزاء، وكتب أخرى عديدة (أقول ومنها الزيج الايلخاني للطوسي).

وقد ذكر نلينو نصير الدين في عدة مواضع من كتابه فقال ص ١٩٨ إن أحد علماء القرن السابع للميلاد أعني سلميوس القرفي عثر على اسم أحد علماء الفلك البابليين في شرح نصير الدين الطوسي على كتاب الثمرة لبطليموس فزعم الطوسي أنه منجم بابلي صاحب كتاب يوناني ذائع الصيت وموضوعه صور الوجوه، ألفه في النصف الثاني من القرن الأول للمسيح.

وأثنى نلينو على الطوسي ص ٢٣٦ فقال إن المستعمل الآن في أيامنا تسمية الضلع المقابل للزاوية القائمة (وترا) وهذا الاستعمال قد سبقنا إليه الطوسي في كتابه تحرير أصول اقليدس في الهندسة. وقال نلينو ص ٢٤٤ ومما يستحق الذكر أن العرب توصلوا في النصف الثاني من القرن الرابع إلى إثبات تناسب جيوب الأضلاع لجيوب الزوايا المقابلة لها في أي مثلث كروي، بل وضعوا هذه القاعدة أساسا للطريقة التي سموها (الشكل المغني) في حل المثلثات الكروية. قال نصير الدين الطوسي في كتاب الشكل القطاع المطبوع في القسطنطينية سنة ١٣٠٩) الخ

وليس هنا مقام بيان ما خلد الطوسي من آثار رائعة في الهندسة وعلم المثلثات وباقي الرياضيات فقد أفردت لذلك مقالا مستقلا. إنما نقتصر في حديثنا اليوم على جهود الطوسي في مرصد مراغة وفي علم الفلك والهيئة — فقد كانت حديث المستشرقين ومؤرخي الحضارة الإسلامية العربية ولم نجد من ضرب صفحا عن ذكره أو ولغ في ذمه إلا من أعماه التعصب الذميم

الحق أن الطوسي رحمه الله من مفاخر الثقافة العربية ومن العقول الجبارة التي غمرت الأوساط العلمية بنتاجها الخصب، فازدهى تاريخ الشرق الأوسط. وقد أنقذ الطوسي منار العلوم بعد أن هددته عاصفة المغول وكادت تنطمس أنواره وتنمحي آثاره؛ فهو الذي منع شر المغول عن الفلاسفة ورجال العلم وأنفق واردات الأوقاف الإسلامية في بناء حياة علمية جبارة في مراغة بقيت آثارها في المكتبة العربية وكم من نفس أحياها باستنقاذها من سيوف التتار، وكم من قلب أحياه بالعلم.

وانصغ إلى الأستاذ فيليب حتي يحدثنا في كتابه (تاريخ العرب) ص ٣٧٧ — ٣٧٨.

وإن هولاكو بعد تخريب بغداد بسنة شرع عام ١٢٥٩ يشيد بقرب بحيرة بورمية مرصد مراغة العظيم، وقد كان أول مدير له نصير الدين الطوسي الشهير (نقلا عن ابن العبري ص ٥٠٠، وعن جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله).

وفي هذا المرصد نظم جداول فلكية جديدة سماها (الزيج الايلخاني) إذ ألفه على شرف هولاكو أو خانات المغول (أي ملوكهم) وقد ذاعت الجداول وأصبحت مألوفة في جميع آسيا حتى في الصين، وأن آثار هذا المرصد القصير العمر لا تزال قائمة حتى الآن (١٩٣٧ م) وبالقرب منها مكتبة أسسها هولاكو أيضا، وقد قيل إنها كانت تحتوي ٤٠٠٠٠٠ مجلد، وأكثر هذه الكتب كان قد نهبه جيوش المغول في سورية والعراق وإيران

وقال فيليب حتي ص ٦٨٣: لقد حافظ العرب بعد منتصف القرن الثالث عشر على قيادتهم للعلم من الفلك والرياضيات

(١) كان ابتداء الدولة الساسانية سنة ٢٢٦ م أي قبل الهجرة بثلثمائة وست وتسعين سنة شمسية وكان انقراضها سنة ٦٥٢ م (كذا يقول نلينو).

ليتني أدري !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

ليتني أدري !

ما الذي يغري يا حبيب الروح
بالهوى البكر قلبي المجروح ؟
روحك الهيمان ! جسمك الريان ؟
حرت في أمري ليتني أدري !

ليتني أدري !

ما الذي يجري خلف هذا الباب ؟
والهوى يسري في دمي المنساب !
آهة حرَّى تحمل السرَّا !
حرت في أمري ليتني أدري !

ليتني أدري !

والدجى مسحورْ حول أيامكْ !
هل يذيع النور سر أحلامك ؟
إنها الأشباح أشعل المصباح !
في يد الفجر ليتني أدري !

ليتني أدري !

كيف لا يظهر سرك المستور ؟
نورك الأعطر كيف يخشى النور ؟
بينما سري ذاع في شعري !
آه من أمري ! ليتني أدري !

ليتني أدري !

حين تنسابْ موجة الإحساس !
ترقص الأهداب ترع الأنفاس !
يخفق القلبْ هل هو الحبْ ؟
حرت في أمري ليتني أدري !

وفاء وحنان . . .

للآنسة (ن . ظ . ع)

(من وحي قصة سينمائية غربية شاهدتها على الشاشة تمثل أروع صورة للحنان الإنساني يضفيه رجل على أسرته وزوجته المريضة ، مما يهز أرق المشاعر ، ويثير أنبل الخواطر) .

إلهي ... أفي الغرب هذا الوفاء؟ أتحظى النساء بهذا الحنانْ ؟
وفي الشرق يظلمهنّ الرجال ويقسو عليهن صرْف الزمان !

أُنظلَم حواء روح الحنان ويُجزى الوفاء بهذا العقوق ؟
أنظلم بالشرق مهد الهداة وأرض الشداة بنيل الحقوق ؟

أرى حكمة الله في شرعه ترد الفساد وتهدي الضلال
فثم التلاعب بالدين ... رب وباسم الشريعة يطغى الرجال !

يُريدونهنّ متاعاً لهم تعدَّدن مثنى به أو رُباع
أهذا هو الشرع ... يا ويحهم لقد صيَّرُوه سبيلَ الخداع

أخذتم من الشرع تلك القشور وحب المظاهر دون اللُّباب
وأنتم لعمريَ لا تبتغون سوى الجسم مثل جياع الذئاب

وأنكرتم الروح ... يا ويحكم وأين هو الرفق ! أين الحنان ؟
ونبل النفوس؟ وصدق الوفاء؟ وأين النبيل بهذا الزمان !

ويالهفَ من شغلتها المعاني وحثَّت خطاها ابتغاء الكمال
فطاح الخيال بعذب الأماني ولم تدر أين تحطُّ الرحال !

شُغفتُ بأحلامها أن تُسامَ صغار الجسوم وثقل الأنام
أتهوى إلى الطين بعد التسامي كما يسقط النجم فوق الرغام ؟

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

أوهام الأدب في الصحافة اليومية :

يأخذ علي بعض القراء هذا العنف الذي أتى به الحياة الأدبية فيما أكتب من تعقيبات ؛ والواقع أنني لا ألجأ إلى هـذا الاتجاه حباً فيه ولا ميلاً إليـه ، ولـكن الحياة الأدبية هي التي تدفعني دفعاً إلى أن أسلك هذا الطريق وترغمني إرغاماً على أن أسير فيه ! وما ذنبي إذا كنت أقع على أشياء تجافي الحق والذوق ، وتصدم الخيال والواقع ، وتخالف منطق الحياة والأحياء ؟! وما ذنبي إذا مددت عيني إلى صحيفة من الصحف أو مجلة من المجلات فرأيت ناقداً يكتب في غير مجاله ، أو أديباً يطمس الحقائق بسخف خياله ، أو شاعراً يفرض شعره على الناس وهو محروم من نعمة الشعور ؟! ...

يا من تأخذون على العنف في معالجة القضايا الأدبية ، تعالوا واقرأوا معي هذه الـكلمات ؛ إنها من مقال كتبه في «المصري» الأستاذ عبد الرحمن الخميسي تحت عنوان « لمنة القلم ».. اقرأوها معي لتعلموا إلى أي حد تثير في بعض الأقلام حين تتناول مشكلات الأدب والفن هـذا التناول الذي يبعث على الضحك والعجب والإشفاق ! يقول الأستاذ الخميسي :

« ألم تبدل موسيقى فاجنر الألمـاني اتجاه الحياة في ألمـانيا تبديلا عظيما ؟ إن فاجنر الفرد الواحد ، الذي تغلغلت موسيقاه في نفوس الألمان والذي طبعت أنغامه بوحشيتها وقوتها روح الشعب الألماني ، والذي حفزت ألحانه الناس إلى الاستعلاء وإلى التحليق ، هذا الفرد الواحد كان يكتب بقلمه موسيقاه حروفاً صماء على الورق ، ثم يشعل بهذه الحروف حين يعزفها الأوركسترا أرواح الملايين ويبهرها ، ويجلوها ، ويرتفع بها إلى عليين ! . . كانت موسيقى فاجنر الأفق المجيد الذي استنزل منه نيتشه الشاعر الفيلسوف أروع قصائده وأبسل أغانيه ، وكانت هي الأفق المجيد الذي استلهمه فاجنر صورة الإنسان الأعلى . وهكذا ترى أن موسيقى فاجنر هي التي فتقت أكمام العبقرية في نيتشه ، وهي التي مهدت الطريق المذهب النازي . . الخ » !

بجرة قلم فتقت موسيقى فاجنر أكمام العبقرية في نيتشه . . . من أين جاء الـكاتب بهذا الرأي الذي يذوب خجلا أمام الحقيقة ؟ لا أدري ولا المنجم يدري كما يقول المازني ! يبدو أن موجة الإعجاب بسحر هذا التعبير « فتقت أكمام العبقرية » هي التي طغت برنينها العذب على جوهر الواقع فشوهته في غفلة من أعين الرقباء !

إن المثقفين في كل مكان يعلمون أن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف!. من يصدق أن فاجنر قد فتق أكمام العبقرية في نيتشة ، نيتشـة الذي رمى موسيقاه بكل نقيصة ، وأذاق فنه من ألوان الهدم والسخرية ما أذاق ، ورفع في وجهه معول التدمير يهوى به في ضربات قاسية لا تعرف ليناً ولا هوادة ؟!

فاجنر في رأي نيتشة مثال فذ للشخصية المنحلة ، وموسيقى فاجنر في ذوق نيتشة نموذج صادق للموسيقى المريضة ، وفن فاجنر في ميزان نيتشـة همجية تختلط فيها الشعوذة بالجنون ! . . إن فاجنر كما يقول نيتشة : « لا يستطيع أن يهز بموسيقاه إلا أعصاب النساء ، وهكذا تفعل الموسيقى المريضة ! إن فنه يستند إلى دعائم زائفة لا يمكن أن يرضى عنها إلا كل منهوك القوى منحل الشخصية محطم الأعصاب . . إن الفيلسوف الرابض بين جوانحي ليثور على كل ما هو مريض ومنحل ! إن القدرة على خلق فن منحط أهون بكثير من القدرة على خلق فن رفيع ؛ ومن هنا استطاع فاجنر أن يرضى الأذواق الفاسدة ، الأذواق (الفاجنرية) المنحرفة ! .. إن هذا العصر الذي نعيش فيه ليدين بشروره وآثامه إلى شخصية فاجنر ، هذا المتلف الهدام » !

هـذه هي الموسيقى التي قال عنها نيتشة ما قال ، وقال عنها عبد الرحمن الخميسي إنها كانت الأفق المجيد الذي استنزل منه نيتشة أروع قصائده وأبسل أغانيه ! . . . إنني أنصح قراء « الرسالة » أن يصدقوا نيتشة ، أما قراء « المصري » فلا بأس من أن يصدقوا عبـد الرحمن الخميسي إذا قال لهم إن موسيقى

فاجنر هي التي خلقت عقلية هتلر وفون مولتكه وبسمارك . . . وفريدريك الأكبر !!

ترجمة تحتاج إلى تصحيح :

تحدث الدكتور عبد الرحمن بدوي في عدد « شباط » من مجلة الأديب اللبنانية عن مسرحية الأيدي القذرة « Les mains Sales » للكاتب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر . ولقد استوقفني ما جاء بمقاله من ترجمة خاطئة لبعض كلمات رأيت أن أصححها ، حتى لا تبعد الشقة بين أصلها في الفرنسية وبين ما يقابلها في العربية :

ترجم الدكتور بدوي هذه الكلمات « la putain respectueuse » وهي عنوان مسرحية لسارتر « بالعاهر المهيبة » ؛ وهنا يبدو شيء من الانحراف في الترجمة لا يستقيم معه المعنى سواء أكان منسوباً إلى عنوان المسرحية أم كان منسوبا إلى الفكرة التي بنيت عليها ! . . . إن البغاية كما يدل عليها موضوع المسرحية وكلمة « respectueuse » لا تنسب إلى « العاهر » وإنما تنسب إلى المحيطين بها عشاق الجسد ، أولئك الذين كانت ترحب بهم وتحتفي بمقدمهم ؛ وإذن تكون الترجمة الصحيحة هي « العاهر الحفية » . أما « العاهر المهيبة » فلا يقابلها في الفرنسية غير هذه الكلمات :

« La putain respectable » .

وترجم الدكتور بدوي عنوان مسرحية أخرى لسارتر ترجمة خاطئة أيضاً وهي مسرحية « La nausée » ، حيث قابلها بكلمة « القرف » مع أن ترجمتها الدقيقة هي « الغثيان » . . والفارق بين الترجمتين بعيد !

أما قوله بأن « الأيدي القذرة » هي خير ما أنتج سارتر إحكام صنعة فنية وبراعة حوار وإبداع تسلسل ، فلا أجد في الرد عليه خيراً من رأى الدكتور طه حسين بك في هذه المسرحية ، وهي أنها أقل أعمال سارتر الأدبية توفيقاً في مجال العمل الفني الذي يقوم عليه بناء التمثيلية الحديثة ، وهو رأى جهر به الدكتور طه — كما قال لي — في وجه مديرة المسرح الفرنسي الذي مثلت عليه مسرحية سارتر ، يوم أن سمت إليه السيدة تسأله عن رأيه في « الأيدي القذرة » . . ومما هو جدير بالذكر أن المحيطين بالدكتور قد حاولوا في شيء من اللباقة أن يخففوا من وقع رأيه على شعور السيدة الفرنسية ، ولكن صراحته المعهودة أبت إلا أن تؤكد المرة الثانية ما سبق أن أفضى به ، وهو أن هذه المسرحية عمل فني يعوزه التوفيق !

بين طه حسين وتوفيق الحكيم :

لم يسعدني الحظ بالاستماع للمحاضرة القيمة التي ألقاها الدكتور طه حسين بك عن « قصة أوديب في الآداب المختلفة » ، والتي تناول فيها بالنقد والتحليل بعض الأعمال الفنية التي أعقبت أوديب سوفوكل . . ولقد حدث أن خرج بعض المستمعين لمحاضرة الدكتور وقد وقع في ظنهم أن الأستاذ توفيق الحكيم قد ناله رشاش من التهكم حين جاء ذكر مسرحيته في سياق الحديث ! هذا ما فهمته من بعض الذين لقيتهم عقب المحاضرة ومما أورده صديقي الأستاذ عباس خضر حين عرض لها في الأسبوع الماضي بالتلخيص والتعقيب .

ومن العجيب أنه قد وقع في الظن أيضاً أن علاقات الود والصداقة بين الدكتور والأستاذ الحكيم تجتاز مرحلة من الفتور ، ليس أدل عليها من هذا الذي قيل وتعرض فيه صاحب « أوديب الملك » لشيء من السخرية !

أود أن أؤكد هنا أن كل ما تبادر إلى الأذهان من ظنون لا يستند إلى دعامة واحدة من دعائم الحقيقة ، فعلاقات الود والصداقة لا تزال تربط بين الرجلين بأقوى رباط .. وإذا كان الدكتور طه قد لجأ في حديثه إلى شيء من العنف أو إلى شيء من القسوة ، فرجع ذلك إلى صراحته المعهودة التي لا تجامل صديقاً على حساب القيم الفنية والموازين النقدية ، وتلك ناحية أكدها لي الدكتور حين فاتحته في هذا الأمر منذ أيام . ومما يؤيد هذا القول تلك القصة الطريفة التي أتيت على ذكرها في الكلمة السابقة ، والتي تمثل بوضوح صراحته السافرة عندما سألته مديرة المسرح الفرنسي عن رأيه في مسرحية « الأيدي القذرة » ولا أظن أن أحداً يستطيع أن يتهم الدكتور طه بأنه كان يسخر من فن سارتر أو يتهكم عليه . . وإذا كان الأستاذ الحكيم قد تعرض في ثنايا المحاضرة لشيء من العنف فقد تعرض فولتير لهذه

العبارة القاسية ، وهى أنه فى تناوله لقصة سوفوكل قد أمعن فى سخف لا يطاق !

لا أدرى لم يعد الناس هنا قسوة النقد تهكما وصراحة الناقد سخرية ، ولم يميلون فى مثل تلك المواقف إلى الظن بأن بين الناقد والمنقود أسباباً من الجفاء يفسرها الوهم بالتحامل ويردها الخيال إلى محاولة النيل من الأقدار ؟ ! ألا يجدر بنا أن ننظر إلى الأمور من خلال منظار آخر يهيء لنا رؤية الحقائق فى جو لا يكتنفه هذا الضباب ؟ إنى أود أن تتحقق هذه الأمنية فى يوم من الأيام !

درس آخر فى أدب القصة :

يبدو أننى لن أفرغ من هذه الدروس التى تلقى على من حين إلى آخر فى أدب القصة ؛ فبعد أن عقب أحد الأدباء على ما كتبت حول مسابقة الصور للقصة القصيرة ، وبعد أن رددت عليه بكلمات أعتقد أنها وضعت كل شيء فى مكانه ، بعد هذا كله هب « أستاذ » آخر ليمدنى بنصائحه ويزودنى بمعلوماته وهو الأستاذ نصرى عطا الله !

إنى أرحب بأن أكون « تلميذاً » مخلصاً على شرط أن يكون « أساتذتى » على شيء من العمق والإحاطة ... وأشهد أننى لا أضيق بالتوجيه والإرشاد ولو صدر من أديب لم أسمع به من قبل على شرط أن يكون فى توجيهه وإرشاده ما يهدينى إلى أشياء تدق على فهمى المتواضع ! ولكن الذى أضيق به ، هو أن يتحدث الأستاذ عطا الله عن فن القصة القصيرة بهذه اللهجة التى تذكرنى بخالدى الذكر تين وسانت بيف وأرنولد ، ثم لا أخرج من كلمه بشيء يمكن أن يدفع بى إلى الصف الأول من صفوف تلاميذه !

ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفنى فى القصة القصيرة مجال محدود ، فهل يأذن لى بأن أقدم إليه هذا التعقيب الطريف الذى أدلى به الأستاذ توفيق الحكيم فى حديث دار بينه وبينى يوم أن قطعت بهذا الرأى ؟ لقد قال الأستاذ الحكيم : « أنا معك فى أن العمل الفنى فى القصة القصيرة لا يمكن أن يقاس إلى نظيره فى القصة الطويلة ، إلا إذا أمكن أن يقاس سباق القطط إلى سباق الخيل ؟! »

ومن العجيب أن الأستاذ عطا الله يحرم على القارئ الشرق أن يحكم على شخصيتى موباسان وتشيكوف لأن ما نقل من أدبهما إلى العربية أقل من القليل ، ومع ذلك فقد أباح لنفسه أن يتحدث عن موباسان وتشيكوف بلهجة تذكرنى أيضاً بخالد الذكر بندتو كروتشه ... ألم أقل لك إن ما يباح للأساتذة يحرم على التلاميذ ؟!

هذا هو كل ما يستحق التعقيب فى مقال الأستاذ عطا الله ... ومعذرة يا « أستاذى » ، فقد علمت من آخر صفحة فى عدد « الرسالة » الماضى أنك قد فزت بجائزة من جوائز الدرجة الثانية فى مباراة القصة القصيرة التى أقامتها وزارة المعارف ؛ ومعنى هذا أن هيئة التحكيم التى لم تقدر فنك كانت أجدر منى بهذا الدرس القيم فى أدب القصة !

أين العلوم فى الرسالة ؟ :

يسألنى الأديب الفاضل الأستاذ عبد المنعم العزيزى فى رسالة بعث بها إلىّ عن مكان العلوم فى « الرسالة » ، مع أنها تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » ... ثم يعقب على سؤاله بقوله إن المهتمين بالبحوث العلمية يجب أن يخصص لهم فى « الرسالة » بعض الصفحات ، أسوة بعشاق النقد والقصة والفلسفة والسياسة والاجتماع ممن تقدم إليهم مجلتنا الرفيعة من أسبوع إلى آخر فنونا من هذه المعارف المختلفة ... ثم يقول فى ختام كلمه إنه يود أن تستجيب « الرسالة » لهذا الرجاء حتى تكتمل لها رسالتها المثلى فى خدمة الأدب والعلم والفن ، وبخاصة فى هذه الأيام التى يقوم فيها العلم بأخطر أدواره فى توجيه حياة البشر ورسم الطريق أمام مستقبل الإنسانية !

الواقع أنه لو كان الأمر بيدى لاستجبت لرجاء الأديب الفاضل لأننى أوافقه على هذه الآراء الناضجة ... وكم كنت أود أن يكون لى فى رحاب العلم قطرة من فيض العالم الجليل الأستاذ نقولا الحداد ، إذاً لكفيته مؤونة السؤال والرجاء ، ولعل الأستاذ الحداد يحقق يوماً هذه الأمنية ، فيسطر صفحات « الرسالة » بنزر علمه ، بعد أن عطرها بوخز « المخلوقات الخبيثة » بسنان قلمه !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

النقد الأدبي في القرن العشرين :

ألقى الدكتور محمد مندور يوم السبت الماضي محاضرة عنوانها « النقد الأدبي في القرن العشرين » في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية . وقد بدأ بتعريف النقد الأدبي بأنه فن تمييز الأساليب قائلا بأن الأسلوب ليس هو طريقة الأداء اللغوي فحسب بل هو كذلك طريقة إدراك الكاتب للعالم الخارجي ثم مدى قدرته على اصطياد المعاني والأحاسيس وإسكانها اللفظ الملائم . ثم قال إن النقد فن لا علم ، ولكنه لا يقوم على الجهل ، فأول ما يطلب في الناقد الاستنارة ، وإن الناقد يلزمه أن يحصل كثيراً من المعارف ولكن يجب عليه أن ينساها في الأدب ، فثقافة الإنسان هي ما يبقى في نفسه بعد أن ينسى ما حصله . والثقافة التي تنبغي للناقد متعددة الجوانب ، وأولها الأدب ذاته الإنشائي والنقدي ، ومن ذلك معرفة المعنى الدقيق للكلمات والاصطلاحات ، فإن كثيرين يرددون كلمات مثل « الواقعية » و « الرمزية » وهم يفهمون خطأ غير معناها ، فيفهمون الواقعية مثلا على أنها تصوير لواقع الحياة كما هو ، ويتبادر ذلك إلى أذهانهم من المعنى اللغوي للكلمة . غير عالمين بالملابسات التاريخية لهذا المذهب الذي يقوم على النظرة إلى الجانب الحالك من الحياة والإيمان بعدم وجود الخير فيها . ومن ذلك مذهب « الفن للفن » فليس هو كما يفهمه الكثيرون من أنه يقتضي الخروج على مواضعات المجتمع والأخلاق ، وإنما هو يدعو إلى أن تكون غاية الفن صور جميلة لذاتها ، وأن الفن غاية في ذاته وليس وسيلة للتعبير عن مشاعر خاصة .

ثم قال الدكتور مندور : إن ثقافة الناقد في القرن العشرين أصبحت ضرورية لتعدد المذاهب واختلاطها ، فقبلا كانت المسرحية إما كوميديا أو تراجيديا ، فجاء النقاد في القرن العشرين يقولون إن الحياة ليست كلها مآسي كما أنها ليست فكاهة مغرقة في الضحك ، فهي ليست بالسوداء ولا بالبيضاء الخالصة ، وإنما هي خليط من الأمرين ، فما الذي يمنع من وجود لون رمادي على المسرح ، هو الدراما التي تجمع بين الحزن والمضحك ؟

ثم تساءل المحاضر : ترى هل يستحق النقد كل ذلك العناء ؟ وأجاب بأن النقد ليس تبعياً وإنما هو خلق أدبي ، وسيان أن يتحدث جيته عن منظر طبيعي أو إنسان في الحياة وأن يتحدث عن شخصية روائية أو كاتب زميل ، فتحصيل الأدوات للنقد جهد غير ضائع .

وبعد ذلك قال الدكتور مندور : وفي مصر هل نستطيع أن نقول إن النقد الأدبي قد استقر له أصول ؟ ترجمت كتب ، وكتب نقاد ، بحيث نلاحظ أن النقد أخذ يرتفع عن الشخصيات إلى الأفكار ، ولكن الملاحظ أن وسائل إذاعة النقد لا تزال محصورة ، فأكثر ما ينشر في الصحف والمجلات تعريف لا نقد تغلب عليه المجاملة والرغبة في ترويج الكتاب . وهناك نوع يتمثل في الطعن والقدح لأسباب شخصية أو أشخصية — وعلى العموم ترى النقد الأدبي الصحيح من حيث التطبيق على مؤلفاتنا — يعاني ضيق مجال النشر .

ثم قال : إننا الآن في مرحلة تتطلب أمرين : الأول أن نكثر من النقل والترجمة عن الغرب ، والثاني أن يتجه النقد إلى غرس روح العلم والخلق الأدبي بجانب نقد الأدب ذاته . وبذلك نستطيع أن ننشئ أدباً أصيلا وأن نبني على أساس سليم .

وألاحظ أن نقطة نسيان المعارف كانت تحتاج إلى بيان ، وما أحسب الدكتور إلا يشير بذلك إلى الحقيقة النفسية القائلة بأن كل المعلومات تكمن في العقل الباطن الذي يهضمها ويمائل بينها ، ثم هي تمد الإنسان في الفرصة الملائمة دون التفات الواعية الظاهرة ، ويكون ذلك أدنى إلى الأصالة من الترديد الببغاوي ، بل هو الأصالة نفسها . ولكن هل نقول من أجل هذا بنسيان كل ما نحصله ؟ وكيف إذن ندرك ما دعا إليه من معرفة المذاهب الأدبية ودقائق الفروق بينها إذا لم يظل ما نحصله منها عالقاً بالذاكرة ؟

شعر البابوبا :

رأيت في « البلاغ » يوم الاثنين الماضي قطعة تحت صورة امرأة وفوق إمضاء « يوسف جبر » عنوانها « بالاليكا » وهي كلام مكتوب على هيئة النظم ، أعني أنه مقسم أجزاء

كأجزاء الشعر، ومنه ما يأتي :

قبل شروق السحر
أسمع نجيوى وتر
عند خيام الغجر
فعندما يتنفث
بلحنه الحيران
يعود وجدي ويبعث
ما كان من شجن
في بالاليـكا

وأنا لم أذهب إلى « بالاليكا » حتى أحكم على ما توحي به من الروائع ... ولكن أليس لقائل آخر، ما دام الباب مفتوحاً، أن ينشر قطعة قد تكون أروع من هذه بعنوان (شرم برم) ؟!

مسرحية أوديب :

قدمت جمعية أنصار التمثيل والسينما رواية « أوديب » على مسرح الأوبرا يوم السبت الماضي، وهي مسرحية قديمة مترجمة عن الفرنسية، وقام بدور أوديب فيها الأستاذ جورج أبيض بك الذي قام بنفس الدور وقت أن قدمت فرقته هذه المسرحية سنة ١٩١٢

وقد نقلت الإذاعة تمثيل الرواية إلى مستمعيها، وكان صوت « الملقن » مسموعاً واضحاً كأصوات الممثلين، فالمستمع يسمع كلاماً كالفحيح ثم يسمع نفس الكلام من الممثلين بصوت عال ... وكانت فرصة لحذلقة المذيع، إذ أخذ يخبط ويخلط قبل أن يرتفع الستار، فقال إن هذه المسرحية مثلت لأول مرة في مصر سنة ١٩٢٠، ورأى أن يدلنا على واسع علمه فقال : إن هذه المسرحية قام عليها المسرح في كل أمة ! وتصور أنت مسرح أمة واحدة يقوم على رواية واحدة ... ولو أنه قال إن الرواية مثلتها المسارح في مختلف الأمم لكان معقولا.

وقد بدا أسلوب المسرحية وموسيقاها التي وضعها الشيخ سلامة حجازي، بعيدين عما يستساغ في هذا الوقت، مما جعلها غير مستحقة لإعادة تمثيلها الآن، وليت الذين قدموا الرواية القديمة أتعبوا أنفسهم ببذل جهد جديد، فقاموا بإخراج « أوديب الملك » لتوفيق الحكيم ووضع تلحين لها يناسب الذوق المصري، بدل هذا الاجترار الذي لا طائل وراءه ...

المسرح بين جيلين :

الجيل الأول يتمثل في الفرق الحاضرة، وأهمها الفرقة المصرية التي تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية، والجيل الثاني هو الجيل الجديد الذي تتطلع إليه الأنظار في المعهد العالي لفن التمثيل التابع لوزارة المعارف.

ولا ينكر أحد ما أسداه الجيل القديم لفن التمثيل، ومقدرة

كشكول الأسبوع

◻ يتداول الآن بعض كبار الأدباء في تأليف جماعة أدبية من أغراضها حماية حقوق الأدباء.

◻ يسرنا أن نذكر أن معالي الأستاذ الجليل أحمد لطفي السيد باشا، قد تماثل للشفاء بعد عملية أجريت له بنجاح في مستشفى الكاتب، ومعاليه الآن ينزل إلى حديقة المستشفى لقضاء بعض الوقت فيها. والمأمول أن يكون أستاذ الجيل قد غادر المستشفى حين قراءة هذا، موفور الصحة والعافية.

◻ فاز في المسابقة الأدبية التي نظمتها إدارة الثقافة بوزارة المعارف طالبان، هما الأستاذ حسين محمود البشبيشي والآنسة عواطف عبد الله يوسف، فاز هو ببحث أدبي عن « مسلم بن الوليد » ومنح مائة جنيه، وفازت هي بقصة « تبرو في الطريق إلى تل أبيب » ومنحت عشرين جنيها.

وعندنا « الاقتران » بالفوز في المسابقة بشير خير وسعادة في « القران » المنتظر. فبالرفاء و « الإنتاج » .

◻ تزاول لجنة جوائز فؤاد الأول الأدبية اجتماعاتها للنظر في الإنتاج الأدبي بوجه عام حتى تستطيع أن تعين الفرع (كالقصة أو الشعر أو غيرهما) الذي تمنح عنه الجائزة في هذا العام. وقد كان موضوع العام الماضي الدراسات الأدبية الإسلامية.

◻ وأخيراً فتح الله على الإذاعة فأعلنت نتيجة مباراة التمثيليات المزمنة بها، وقد فاز كل من تمثيليتي (ولادة) للأستاذ خليل هنداوي و (على قدر لحافك) للأستاذ محمد نبيه عبد الكريم بجائزة من المرتبة الأولى وقدرها خمسون جنيها.

◻ سئل الأستاذ كامل كيلاني عن رأيه في فلان الذي يدعى أن الله لم يخلق مثله في الكتاب والشعراء، فقال : إنه يكرر دعوى سبقه إليها أديب معروف. يحكى أن أميراً جعل جائزة لأبرد حكاية، وكادت الجائزة تستقر على صاحب الحكاية البالغة ولكن بينما انبرى يقول : أنا أحكي أبرد من هذه. وحكى الحكاية نفسها. فكان هو الفائز.

◻ سأل أحد الأعضاء بالجمعية التشريعية وزير المعارف في السودان عن عدد الذين يتعلمون في جنوب السودان، فقال الوزير : إني آخر من يقول بسودان شمالي وآخر جنوبي ولكن لا أستطيع الإدلاء ببيانات عن الجنوب قبل زيارته.

أوليس من مقتضى عدم التفريق بين الشمال والجنوب أن يعرف وزير المعارف حالة التعليم في الثاني كما يعرفها في الأول من غير حاجة إلى زيارة إحصائية !

◻ قررت وزارتا التجارة والمالية إباحة تصدير الكتب المصرية إلى الخارج بعد موافقة الجهات المختصة.

◻ تبحث الجامعة العربية مسألة توحيد النقد في البلاد العربية. وحبذا أن تسأل الإدارة الثقافية بالجامعة على توحيد أسماء شهور السنة الميلادية التي يؤدي اختلافها الحالي إلى ارتباك لا داعي له في بلدان لغتها واحدة.

أفراده التي تكونت على مر السنين من المران وتنمية المواهب ، ولكن هناك حقيقتين بارزتين ، الأولى كسل هؤلاء الممثلين في العمل المسرحي ، أو بتعبير أصح انشغالهم عن المسرح بالسينما ، فهذه الفرقة المصرية تجتر الروايات القديمة التي حفظ الممثلون أدوارهم فيها فلا تكلفهم عناء في الحفظ ولا في التجارب (البروفات) وقد دعا مديرها العام الأستاذ يوسف وهبي في أول الموسم ، الأدباء إلى معاونته بالتأليف ، ولكن البرنامج الذي قدمته الفرقة طوال الموسم إلى الآن دل على رغبتها في الراحة من العناء في إنتاج جديد ، فقد قدم لها الأستاذ محمود تيمور بك مسرحية جديدة هي « اليوم خمر » كما كتب لها أيضاً الأستاذ توفيق الحكيم مسرحية « اللص » وقد مضت شهور على فراغ الأديبين الكبيرين من هاتين المسرحيتين وتقديمهما ولم يبد ما يدل على أن الفرقة ستقدمها في هذا الموسم . وتسأل الأستاذ زكي طليمات المدير الفني للفرقة عن ذلك ، فيقول : وماذا أصنع وأنا لا أجد يوسف وهبي ؟ وأين يوسف ؟ في (الاستديو) أي أن « مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ المسرح » ليس عنده وقت للمسرح ! وهكذا ترى أن الممثلين العريقين يتخذون الفرقة المصرية « خمارة » يشربون بها النبيذ المعتق ويأكلون الشطائر المدة في (جروبي) كما يقول ديوان المحاسبة ...

الحقيقة الثانية ، وهي التي تقضي بها سنة التطور في كل شيء ، أن المسرح في حاجة إلى نوع جديد من الممثلين قد يكون أقدر على التقدم بالفن ومسايرة ما جدّ فيه . وهنا نصل إلى الجيل الجديد المرجو من خريجي معهد التمثيل وطلبته ، ولا شك أن هؤلاء يمتازون بأنهم يتلقون دراسات منتظمة في الآداب والفنون وثقافة العصر ، وأحرى بهم أن يكونوا — كما قال الأستاذ زكي طليمات عميد المعهد في كلمته بحفلة توزيع الجوائز على الخريجين في الأوبرا — « حجر الزاوية في حركة جديدة يكون من ورائها إصلاح وتقدم المسرح المصري يأتيان على يد الممثل نفسه وبواسطة الممثل نفسه » وقد قال الأستاذ طليمات أيضاً في تلك الكلمة « لقد جرت الحكومة منذ أكثر من عشرين عاماً ، وهي تحاول الارتقاء بالمسرح ، على سياسة منح الإعانات المالية للفرق العاملة وإجراء تعديل وتغيير في أنظمتها ، ثم الإشراف عليها وتولي توجيهها توجيهاً فعلياً بوساطة اللجان وإصدار القرارات ، وقد أفاد هذا إلى الحد الذي ترون عليه « الفرقة المصرية » كما أفاد أيضاً في إبراز كيان اجتماعي للمثل . ولكن الحكومة اليوم تواصل عملها لتحقيق الارتقاء المنشود ، متخذة طريقاً أخرى ، استلهمتها ولا شك على ضوء البديهية الاجتماعية المبذولة لكل مفكر ، وهي أنه لن يفيد ولن يجدي في شيء أن نحاول إصلاح النظم القائمة بالتغيير والتعديل قبل أن نأخذ بإصلاح الفرد الذي يعمل في هذه النظم ، ويتولاها وينهض بكيانها . فالمعهد بحكم هذا مرجو أن يكون معقد الأمل في تحقيق هذا الإصلاح باعتبار أنه المصنع الذي يخرج رؤوساً جديدة تعد أحسن إعداد لاحتضان المسرح في نظامه الديمقراطي »

وقد أشرت منذ أسابيع إلى أن وزارة المعارف تعمل على إنشاء فرقة نموذجية خاصة بطلبة معهد التمثيل ، وقد كان معالي السنهوري باشا وزير المعارف السابق وافق على المبلغ المقترح لهذه الفرقة وهو ثمانية آلاف جنيه ، وقدم معاليه المشروع إلى اللجنة المالية لمجلس النواب ، وقد رفضت اللجنة الموافقة على هذا « الاعتماد » ورؤى إرجاء المشروع إلى العام القادم . وكان من حجة اللجنة المالية في هذا الرفض الاكتفاء بالفرقة المصرية على أن يقوم إليها خريجو المعهد . ولكن الفرقة المقترحة شيء آخر غير الفرقة المصرية القائمة ، لأن الأولى يرجى منها أن تنهج منهجاً آخر يقوم على استقلال الحماس الفني في إحياء التمثيل المسرحي ، وهذا الحماس يخشى عليه أن يخبو وأن يثبط إذا عاشر واصطدم بالجيل القائم المتسلط ، كما يقوم النهج المرجو على الخلاص من الاعتبارات التجارية إذ يكون الاتجاه إلى تقديم مسرحيات من الأدب الرفيع ، والفرقة المقترحة بعد كل هذا تؤمل أن تكون أساساً صلباً لبنيان جديد في المسرح المصري بعد أن دلت التجارب الماضية على فساد البنيان القائم .

وإلى معالي الأستاذ علي أيوب وزير المعارف الحالي أسوق الحديث ، راجياً أن يتم على يديه إنعاش المسرح الراقي ، وحبذا أن تحقق وزارة المعارف الغرض المنشود من الفرقة الجديدة بإمداد المعهد بالمال اللازم لإقامة الحفلات التمثيلية العامة من ميزانيتها الخاصة ، حتى يستطيع أن يبرز جهوده ويقدم ثمراته ، إلى أن يتيسر إنشاء الفرقة المأمولة .

عباس خضر



ديوان «من وحي الريف»

تأليف الأستاذ توفيق عوضي

بقلم الأستاذ ثروت أباظة

كثرت في هذه الآونة مدارس الشعر وتعددت مذاهبه. فترى من الشعراء من يقصد إلى المعنى غير محتفل باللفظ أو الصياغة، وهو في ذلك يسير بالشعر في طريق النثر. وترى منهم بعضاً يعنون بالصياغة واللفظ دون التفات إلى التجديد في المعنى؛ وعذرهم في ذلك أن عنترة شاعر الجاهلية قد قال «هل غادر الشعراء من متردم» فإن كان عنترة منذ ألفي عام قد يئس أن يجد معنى جديداً فهل يبحثون هم عن معنى جديد بعد هذه الحقبة الطويلة من السنين التي مرت فانتهكت القديم وأخلقته، بل وأخلقت أيضاً ما ظهر في غضونها من معان جديدة؟

ومن الشعراء من يقول إن الشعر الصادق إشباع للعاطفة، والعواطف منذ كانت خالدة على الزمان لا تتغير؛ فواجب الشاعر إزاءها أن يبين عنها في أنصع تعبير. وهنا يختلف القوم مرة أخرى، فمنهم من يرى أن الصياغة يجب أن تكون مشرقة في عربية صريحة لا تيسير فيها، ومن الشعراء من يرى وجوب التحلل من قيود الصياغة العربية؛ ويقف البعض موقفاً وسطاً فتراه يلتزم السهولة في تعبيره مع التزام الصياغة العربية معتقداً أن واجب الشاعر هو الوصول إلى قلب سامعيه من أقرب طريق، وزعيم هذه المدرسة هو الشاعر العربي الأكبر إيليا أبو ماضي. وقد انضوى كل شاعر تحت مدرسته يأبى أن يجيز لأي مدرسة أخرى أن تقول الشعر معتقداً أن الشعر هو ما يكتب وما دونه كلام لا يصح أن يسمى شعراً ... ولا شك أن هذا التعصب يتساوق مع طبيعة الشاعر المتكبرة ولكن واجبه أزاءها ألا ينتقد أبداً ... ذلك أن نقده على أية حال سوف يكون — رغم أنفه — جائراً. وواجب النقاد إزاء كل هذه المدارس أن يقفوا منها على حياد المتفرج حتى يحكموا على كل شاعر بالنسبة للمدرسة التي يؤمن بها، وبهذا يكون الميزان سليما لا تحيز به ولا إجحاف ...

والأستاذ توفيق عوضي من الذين يؤمنون بالسهولة دون الميوعة في الصياغة ولا يقبل أبداً أن يترجم عن إحساس لا ينبعث من صميم قلبه؛ فهو يفهم كلمة العاطفة فهمها الصحيح، فقد ذهب البعض إلى أن العاطفة هي الحب أو البغض بما يستتبع كلا الحالين من مشاعر وأحاسيس، أما توفيق فقد فهمها على أنها انعكاس الصور الخارجية على نفسه الشاعرة ثم عبر عنها على أنها منبعثة من صميمه؛ وعلى هذا تراه دائم النظر إلى ما حوله يحاذر أن تفوته واقعة فلا يسجل أثرها في نفسه شعراً. فتراه يقول حين يستأجر الحمار والغلام بثمن واحد:

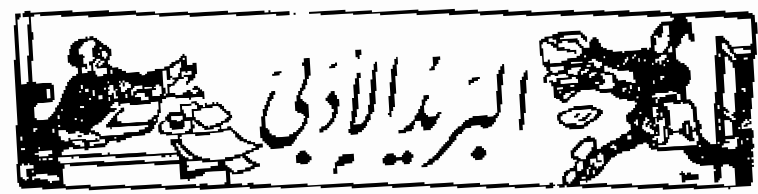
يزهدني في النسل أني بأمة
تساوى بها الإنسان والعير في الأجر
وما دام أجر المرء والعير واحداً   فحمداً لمن أغنى عن النجل بالعير

ويذهب ليقضي أمسية عند صديق له فتطيب وتبدأ في الصباح يقول مستبشراً به طروبا:

وصحت ذكاء فغنت الأكوان الحسان الصباح
فسكرت من أشواقها   ونعمت بالسكر المباح
ضحكت ثغور وروده   كتضاحك الغيد الملاح
المقبلات كأنهن   مني تموج بالنجاح
وذكرت لطفك فانتشيت   فكنت ريحاني وراحي
يا صاحبا في صحبة   جمعت أزاهير الصلاح
وعلى اقتراحك قد نزلت   وقد نزلت على اقتراحي
فتمازجت أرواحنا   كالراح والماء القراح

هذه الرقة التي تلمسها وتلك الانطلاقة التي تجري بها الأبيات هي لا شك شعور صادق لا مين فيه. وإنك لتراه مع هذا يحب كما يحب الشعراء ولكنه يعبر عن شعوره في هذه الرقة نفسها. وإنك حين تقرأ له شكواه من الحب لا تملك إلا أن تفزع معه. يقول:

كف الصدود .. كفى .. كفى   عذبت قلبي بالجفا
يكفيك مما شفني   أن الصدود قد اشتفى
إن ترض لي طول السقام   قضيت عمري مدنفا



الرجل يخطب إلى المرأة :

تنشر الصحف كل يوم أنباء الزواج ، وربط عقدته والخطبة له في عبارات يأباها فصيح اللغة ، وتنفر منها نخوة الرجولة فتقول مثلا :— (تمت خطبة فلان للآنسة فلانة !) (يحفل بهيج تمت خطبة فلان بكريمة فلان !) . (تمت خطبة فلان إلى الآنسة فلانة !) وغير ذلك مما يطول إيراد أمثاله .

ومما أثار عجبي إني قرأت يوماً في جريدة الأهرام هذا النبأ :

« في حفل عائلي تم زفاف الأستاذ ! ح . ع المحامي وعضو مجلس بلدي ... إلى الأستاذة ف . ح المحامية فبالرفاء ... »

وهذا كله وأمثاله من الخطأ الذي لا يصح السكوت عليه ، وذلك بأنهم يجعلون الأنثى هي التي تخطب الذكر أو يزف إليها العريس، والذكر هو الذي يُخطب أو يزف إلى العروس . ولكن اللغة تقضي بأن يكون الذكر هو الذي يخطب أو تزف إليه العروس والأنثى هي التي تُخطب وتزف إلى عريسها .

وفي الأساس : خطب الخطيب خطبة حسنة ، وخطب الخاطب خطبة . وكان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقول : خطب وفي الصباح وخطب المرأة إلى القوم ، إذا طلب أن يتزوج منهم ، واختطبها ، والاسم الخطبة ، فهو خاطب وخطاب مبالغة وقال تعالى : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » وفي الحديث المتفق عليه «ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له الخاطب».

وأما القيران فيقال : قرن الشيء بالشيء ، فاقترن به ، وجعلوا من المجاز ، هي قرينة فلان لامرأته .

هذا هو حكم اللغة ، إلا إذا كانت الأمور قد انقلبت والدنية قد تحكمت في اللغة كما تحكمت في غيرها فاستنوق الجمل واستتيست الشاة ! !

محمود أبو ريه

أو ترج حتى أنني قد صرت منه على شفا
إن توف أو لا توف لن ارتد عن عهد الوفا

تلك الثورة التي يبدأ بها أبياته هي لا شك تعبير عما يختلج بنفسه من حب وما جره عليه هذا الحب من المرض .. ثورة عارمة ولكنها رقيقة وصلت إلى قلبك دون أن يركب إليه ألفاظاً أنيقة أو صياغة متبرجة ... إنها مدرسة ... والأستاذ توفيق لاشك من أنبغ تلاميذها . سوف ترى مني ذلك حين تقرأ الديوان كله كما فعلت أنا لترى في أي قطعة أختار وأيها أدع ثم انتهيت إلى ما نقلت إليك تاركا لك الفرصة لتحار وتختار إذا استطعت أن تختار .

ثروت أباظة

حول الأدب الشعبي في الكويت :

بعث إلىّ أحد الأصدقاء يستنكر تسميتي للخليج الفارسي (بالخليج العربي — الفارسي سابقاً) في مقالي عن (الأدب الشعبي في الكويت) الذي نشر في الرسالة الغراء (العدد ٨١٣) مدلياً لي بأن جميع الكتب التي ذكر فيها اسم هذا الخليج دعي فيها بالفارسي وليس بالعربي كما أنه فارسي الصبغة ... الخ

وأحب أن أنبه هذا الصديق وأمثاله إلى أن هذا الخليج الذي تحده من الشرق بلاد فارس ، ومن الغرب الكويت والبحرين والأحساء ، ومن الشمال البصرة فالعراق ، ومن الجنوب عمان والربع الخالي وبلاد العرب عربي الصبغة تماماً ، وأن تسميته بالفارسي تسمية عتيقة بالية ويكفي أن تعلم أن السواحل العربية التي تطل على هذا الخليج أطول من السواحل الفارسية التي تطل عليه ، كما لا ننسى أن تلك السواحل الفارسية نفسها التي تطل عليه تدعى (عربستان) فسواحله عربية ومياهه عربية خالصة وإن الأسطول التجاري العربي الكويتي الذي على طوله وعرضه ليدلك الدلالة الواضحة على عروبته كما أن الكويتيين والبحرينيين من أحلامهم الهامة صيد أو قطاف اللؤلؤ من مياهه . والعرب الذين يقطنون السواحل العربية منه كالكويت مثلاً قد اصطلحوا على تسميته بالخليج العربي ويعتزون بذلك ، فلئن ذكرته الكتب العتيقة فارسياً فقد آن للجديد منها أن يطلق عليه هذا الاسم الحقيق الطارف .

أحمد طه السنوسي

أسف واعتذار :

في تعقيبات العدد الماضي من « الرسالة » عند الكلام عن مسرحية « سليمان الحكيم » سقطت إحدى العبارات فاختل منها المعنى الذي كنت أقصد إليه .. ولعل القراء قد فطنوا إلى تلك الفجوة التي فصلت بين شقي التعبير حيث وقفوا على هذه الكلمات : « هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكري في كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجرى وراء المشكلات النفسية وهو في ذلك يخضع للجو الذي تسيطر عليه شخصيات أبطاله ، هناك حيث نجد الصراع بين ذهن وذهن لا بين عاطفة وعاطفة » . وصحتها : « هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكري في كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجرى وراء المشكلات الفكرية أكثر مما يجرى وراء المشكلات النفسية وهو في ذلك يخضع للجو الذي تسيطر عليه شخصيات أبطاله .. الخ »

لهذا أسجل أسفي ، أما الاعتذار فأتقدم به إلى القراء حيث ضاق النطاق عن تناول قصيدة الشاعر إيليا أبي ماضي بالعرض والتحليل كما وعدت .. فإلى العدد القادم إن شاء الله .

أنور المعداوي

بيت قلق :

في العدد (٨١٦) من الرسالة الغراء اطلعت على قصيدة للشاعر الأديب سعد دعيبس بعنوان (في القاع يا رب) مطلعها :

حطمي الزورق يا ريح فقد طال ظلالي
وجرى الشك ورائي ومشى الوهم أمامي

وهي من الرمل المربع (فاعلاتن أربع مرات) . ومنها هذا البيت القلق بالزيادة :

ربما ينعم بالفجر الأماني وأنا رهن الظلام

ولا أظن الخطأ من التطبيع فهو بالزيادة لا النقص ، وتمام المعنى بالزيادة الزائدة !

وبعد : فنا — بكلمتي — قصدت التصويب ، بل التعقيب بالشكر الشاعر الأديب الذي قام يهدي قصيدته إلى (روح الشاعر البائس « عبد الحميد الديب ») وفاء وذكرى ، في زمان قل فيه الوفاء والوفيون ، ونضب الذكرى من ألسن الذاكرين .

رحم الله الديب [1] ، وجزى الله الأديب .

(الزيتون) عمر ناجد

مآخذ أربعة :

في عدد الرسالة الغراء رقم (٨١٣) قصيدة للشاعر الملهم زهير ميرزا بعنوان « شهرزاد » وهي قصيدة منثورة ماتعة ، وقد ازدانت كالعروس الحسناء برواء بديع لولا هذه المآخذ :

قال الشاعر :

١ — « كأسك المغني ومغناك أغاريد المصور »

والمغنى مقصورا واحد المغاني وهي المواضع التي كان بها أهلوها . وأغنيت عنك « مغنى » فلان و « مغناة » بضم الميم وفتحها فيهما : أي أجزأت عنك مُجزأه .

وما أظن الشاعر قصد كلا المعنيين إذ لا يكون المنزل أغاريد المصور بله أن يجزأ عنه مجزأه . وأظن الشاعر حسب « المغنى » من الغناء كما يقول بيرم التونسي على لسان أم كلثوم .

المغنى حيـــاة الروح يسمعها الحبيب تشـــفيه

ولا وجه له .

٢ — « وندامك عشيق فاتر اللحظ الكسير »

والندامى جمع ندمان . ذكر الشاعر أولئك الندامى ولم يذكر منهم سوى ذلك العشيق ، وكان الصواب أن يقول : ونديمك أو ندمانك عشيق فاتر اللحظ الكسير أن يأتي بالمفرد دون الجمع

٣ — « ورواء الدهر فاستلقاه خفاق وثارا »

واستلقى : على قفاه ولا معنى له هنا ، والصواب أن يقول : وتلقاه خفاق وثارا ، أي استقبله . ومنه قوله تعالى « إذ تلقونه بألسنتكم » أي يأخذ بعض عن بعض .

٤ — « رقبك السمار حيرى والساء »

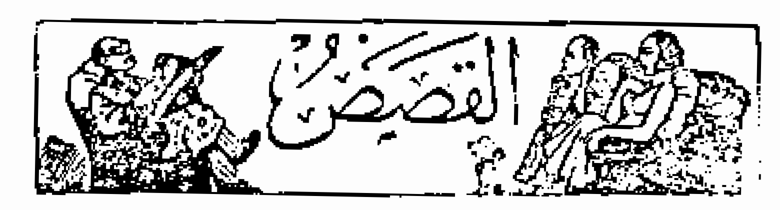
والصواب أن يقول : رقبك السمار حيارى بالضم والفتح جمع حيران . أما حيرى فهي المفرد المؤنث .

وكنا نود أن نضرب صفحا ونسبل سترا على هذه المآخذ اللغوية لولا أن مكانة الشاعر الذي أتحف قراء « الأديب » بروائعه أعلى من هذه الهنات . وللشاعر شكرى ؛ إذ أن هذه النميزة لا تحط من قيمة هذه « الشهرزادية الرنانة » .

يافا — فلسطين : عمان ساسي حسين مبش

(١) ومن قوله :

(جوارك يا ربي لمثلي رحمة فخذني إلى النيران لا جنة الخلد !)



قصة من الحياة :

من الأعمــــاق (*)

« مهداة إلى الأستاذ أنور المعداوى »

للأستاذ كامل محمود حبيب

مضى الليل إلا أقله و «إلهام» تضطرب فى فراشها لا تستقر، تتلمس الكرى فلا تجده وتنشد الراحة فلا تنالها، وقد اطمأنت إلى الظلام والسكون يعصرها الهم ويضنيها الأسى، تتغمر فى خواطرها والساعات تنطوى. و «إلهام» فتاة فى الثامنة عشرة من سنى حياتها فهى فى شبابها الأول تنبض بالحياة وتتفتح عن أمل باسم وتتألق عن جمال رائع فتان، تشع نوراً وسعادة وتتلألأ بهاء وضياء. لم تذق الحزن ولا عرفت معنى الكآبة، فهى بين أبيها وأمها وأختها الصغرى فى بهجة ما تنقطع أسبابها، فما لها — الآن — تجلس وحدها فى ظلام الحجرة وظلام الأخيلة؟ وإن الشيطان ليوسوس لها بين حين وحين فلا ترى الحياة إلا عوداً من ثقاب تشعله فى ثيابها، وإلا حبلاً تلفه حول عنقها وتتعلق به فيتقضقض عظام رقبتها، وإلا نافذة تنفتح لتقذف بنفسها منها. ولكنه ما يزال فيها بقية من دين وصبابة من أمل.

وتسرب نور الصباح إلى حجرة إلهام يفزعها عن فراشها وعن خواطرها فى وقت معاً، واندفعت صوب الشباك تريد أن تسرّى عن نفسها بعض ما أمضّها فما وجدت فى نسمات الصبح الندية ما يرفه عنها كربة قلبها، ولا فى النور الجميل المتدفق من لدن المشرق ما يمسح على همّ روحها.

يا عجبا! لقد كانت تجد فى بسمة الصبح الجمال والحياة والنشاط جميعاً فما بالها الآن تفر منها فى ضيق وملل.

* * *

وفى عصر يوم من أيام الربيع — منذ أربع سنوات — والرياح تهب رخية لينة توقع لحن السعادة والنور على قيثارة الربيع الهادىء الجميل، والطائر الغريد يثب على أفنان الشجر وهو يشدو بأنغام النشوة والمرح، والأزاهير تنفح عبيرها فى خيلاء وتتمايل سكرى وقد هزتها اللذة واستخفها الطرب، والشمس تنحدر إلى خدرها رويداً رويداً لتذر هذا العالم المضطرب ينام فى هدوء وراحة وأشعتها تتماوت وتتعانق، يودع بعضها بعضاً قبل أن تتلاشى لدى الغروب.

حينذاك اندفعت إلهام إلى الحديقة فى ثوبها الحريرى الأبيض الرقاف وهى فى عطرها الأرج وشبابها الفياض تنفث الحياة فى هذه الناحية وما فيها سوى البستانى العجوز ينحص الأرض بفأسه الصغيرة، اندفعت إلى الحديقة تحنو على أزهارها وتحبو شجيراتها ببعض عطفها وتتنقل هنا وهناك، فهى زهرة نضيرة بين أزاهير، ولكن فيها هى الحياة الوثابة وفيها الجمال الآسر وفيها الخفة والفتنة وفيها السعادة والبشرى. لقد تفتحت الأزاهير وتكاد أوراقها أن تذبل، أما هى فتوشك أن تتفتح عن أكمامها فتبدو فى بهائها وروعتها ملء العين وسحر القلب وإن ربيع الأزاهير لينطوى فى غير بطء ولا تلبث، أما ربيعها هى فيقبل فى هدوء وأناة، وغمر الحديقة نور الفتاة فتراءت كأنما ترقص طرباً وحبوراً.

ودخل «عادل» إلى الحديقة — على حين غفلة — فألفى الفتاة أمامه وجهاً لوجه فرأى فيها معانى قلبه الشاب ولكنه ما يزال فى الجامعة وما تزال هى طفلة. وسألها عن أبيها وعن أمها فما وجدها. لقد خرج معاً ليقضيا شطراً من الليل خارج الدار. وهمّ الفتى أن يرجع غير أن الفتاة طلبت إليه أن يتلبث قليلاً لتعرض أمامه أزهارها وشجيراتها.

وتحدثت الفتاة فى طلاقة واستمع الفتى. وانطلقت وانطلق هو إلى جانبها يحدثها وتحدثه فى حديث الزهر والشجر والربيع والأصيل والمطر.. ورقت كلمات الفتى وتكسرت نبراته... ثم خرج ووقفت هى تنظر إليه فى صمت، وأحست الفتاة بالوحدة

(*) يا قارئى العزيز: هذه مشكلة من الحياة لم تُمح فصولها لآن. وأنا أنتظر رأى عقلك نباهنا عسى أن تشير؟ لعل رأيك يثير السبيل لفتاتى!

حين رأت عادلاً يتوارى خلف سور الحديقة فأرادت أن تندفع في إثره لترده إليها ، ولكن ..

وعادل فتى سمهرى القوام قوى العضل وضاح الجبين يتألق وجهه حياة ونشاطاً ، وتنبعث من عينيه أشعة نفاذة قوية علامة الذكاء والفطنة ، وتضطرب في محجريه آثار عبرات مكنونة علامة الإنسانية والرقة ، وتنم حركاته بالاتزان والرزانة علامة الرجولة والقوة ، وهو - إذ ذاك - طالب في السنة النهائية من كلية الآداب واسع الأفق حلو الحديث طلى الأسلوب رقيق الحاشية ، طيب القلب ، عالي الهمة ، يعتز بعلمه وأدبه ، حريص على كبريائه وكرامته .

لقد دأب عادل - منذ أن التحق بكلية الآداب - على أن يزور « فكرى بك » - والد إلهام - كل أسبوع فهو صديق أبيه وهو عونه هنا في القاهرة . وإن عادلا ليفزع إلى فكرى بك يستعينه على أمره ويستنير برأيه ويطمئن إلى نصيحته ، وهو فتى ريفي يشفق على نفسه أن يجرفه تيار المدنية ويرهب أن يعصف به لهو الحياة ، فهو يرى في (البك) الأب والقائد والمثل الأعلى ، وفكرى بك يرى في عادل الابن والصاحب والصديق . وأنس واحد إلى واحد واطمأن إليه ، فعادل ما يبرح يزور (البك) و (البك) ما يبرح يفتقد عادلا ويطلبه فيلح في الطلب ، يقيمه على بعض شأنه ويفتح له بابه وقلبه وذراعيه .

لطالما جاء عادل إلى الدار ، ولطالما تحدث إلى إلهام في عطف ، ولطالما جلس إليها يعينها على الدرس ولطالما قص لها الأقاصيص وأهدى إليها الكتب ولكنها لم تحس بما يدفعها إليه إلا في هذه المرة . أفكان ذلك من أثر شعورها بأنه أزال عنها الوحدة في الحديقة في عصر يوم من أيام الربيع ؟ أم هو شعور بالعطف عليه حين لم يجد أباها فأراد أن يرتد في خذلان ؟ أم هو التقدير والإجلال لمن وجدت فيه الحلى والعون ؟ لا ريب فهي قد أحست في نفسها شعوراً غامضاً لا تعرف مأتاه ولا تدرك كنهه ولكنه يدفع قلبها صوب هذا الفتى .

وبدأت الفتاة ترقب موعد زيارة عادل في شغف وتنتظر مقدمه في شوق وتتأهب للقاء في زينة . ولكنها في سنها المبكرة ما تزال تجهل ما يضطرب في نفسها .

وانطوت الأيام والفتاة تأنس إلى فتاها ، تهفو إلى مجلسه وترنو إلى حديثه وقلبها يزداد تعلقاً به وأخيلتها تحوم حواليه تحى تخلق الأسباب لتسأله فيجيب وتصطنع الجهل ليشرح لها درساً أو يحل لها مسألة ، والفتى مطمئن إلى ما تفعل راض بما يجد ، يرى فيه راحة قلبه وشفاء نفسه . غير أن الفتاة لم تستطع أن تدرك كنه ما تحس . هذه العاطفة المشبوبة تبعث فيها الحيرة والاضطراب وهي تكتمها فلا تتحدث بها إلى أمها ولا تبوح بها إلى أختها الصغيرة . وكيف تفعل وفي رأيها أن فتاها لا يبادلها عطفاً بعطف ولا إخلاصاً بإخلاص ؛ وهي إن فعلت لا تأمن أمها أن تتلظ لها في الحديث أو تتهكم عليها بكلمات قاسية عنيفة . وأختها طفلة لا تفهم لغة القلب ولا تعي حديث الهوى ، وهي لا تستطيع أن تحدث صاحبها بذات نفسها خشية أن يكون في شغل عنها فيحتقر خلجات روحها ويمتهن نبضات قلبها . وألقت بها هذه الخواطر في تيهاء مقفرة ثم قنعت بأن تستمتع برؤيته بين الحين والحين ، وأن تسعد بحديثه بين الفينة والفينة ، تروى ظمأ نفسها وتنقع غلة قلبها ، والأيام تنطوى . .

أما عادل فقد أحس بالهوى الجياش يتدفق إلى قلبه في غير هوادة ولا لين منذ أن رآها تثب بين النبت والزهر ترفل في ثوبها الحريرى الفضفاض تتوثب نشاطاً وحياة وتتألق بهجة ونوراً ، وشغف بها حين رآها تستكمل - على الأيام - أنوثتها وجمالها ، فهو يتودد إليها في رفق ويسعى إلى رضاها في صمت ؛ والحياء يمنعه عن أن يكشف لها عن دخيلة قلبه خشية أن تنفر منه فلا يراها بعدُ وأن تزدرى عاطفته فتسخر منه فتتحطم كبرياؤه وتتصدع كرامته .

وحال الخجل بينه وبين أن يحدث أباها بما يكن للفتاة من حب خيفة أن يثور به فيضع بينهما سداً لا يستطيع واحد أن يظاهره وإن جهد .

وليست هذه بالسبيل التي يسلكها إلى غايته ، فهناك في القرية أبوه وهو رجل ذو عقل وتجربة ، يرى الرأى ويوطىء للأمر فينفذ إليه من منافذ يعجز عنها عادل نفسه .

وألقت به هذه الخواطر في تيهاء مقفرة ، ثم قنع بأن يستمتع برؤية فتاته بين الحين والحين وأن يسعد بحديثها بين الفينة والفينة

يروي ظمأ نفسه وينقع غلة قلبه ، والأيام تنطوي .

ورأى الأب بعيني تجاربه أن الفتى يحنو على الفتاة وأن فتاته تعطف على الفتى ، وخشي أن تمتد يد إلى يد أو يهفو صـدر نحو صدر أو تقترب شفة من شفة ، ثم ساورته الريبة واستولى عليه الشك . فماذا يفعل ؟ وهو لا يريد أن يغلق بابه دون الفتى وهو صديق أبيه ، ولا أن يدفعه عن داره وهو يستعينه على بعض شأنه ، ولا أن ينشر ظنونه أمام الفتى فيظن هو ويظن أبوه أنه يعرض ابنته كما تعرض السلعة البائرة في السوق الراكدة يبتغي من وراء ذلك أمراً . وتملكته الحيرة

وجاء عادل — كدأبه — يزور (سعادة البك) ، ورأته إلهام وهو يدلف إلى حجرة المكتب فانطلقت إلى هناك كدأبها ، ولكن أباها طردها في غلظة ، ونهاها عن أن تدخل حجرة فيها « الأستاذ عادل » إلا أن يؤذن لها .

وذهل الفتى حين بدا له أن عين الشيخ يقظة مترقبة ، وعجب ألا ينطلي على (البك) ما يتصنعه من رزانة وما يتكلفه من هدوء : الآن وقع ما كان يخشاه وضرب بينه وبينها بحجاب كثيف ما يستطيع واحد أن يظهره وإن جهد . وأطرق الفتى وقد تجهم وجهه وتقبضت أساريره ، ثم خرج من لدن الرجل يهيم على وجهه وقلبه يبكي في حرقة وألم ونفسه تتميظ في أسى ولوعة وثارت كبرياؤه تخاصم الدار وروحه ترف حواليها .

يا لقلبي حين تغشاه غاشية من مصائب الحياة ونكباتها فلا يجد عنها مصرفاً ! الآن ذاق قلب الفتى مرارة الحسرة والكمد حين تلفت فإذا هو وحيد على حيد الطريق ، أما الفتاة . . . !

* * *

ومضت سنة كاملة والفتى يدافع نفسه عن الدار التي يهفو إليها قلبه . وحين خيل إليه أنه ثأر لكبريائه واقتص لكرامته أحس رغبة ملحة تجذبه إلى دار فكري بك — مرة ثانية — ليرى هناك روح قلبه ونور عينيه وجمال حياته .

وعجب عادل أن رأى الخادم يتقدمه ليفسح أمامه الطريق وليقوده إلى حجرة الجلوس دون حجرة المكتب ! ماذا كان ؟ لا ريب فقد أصبح غريباً عن هذه الدار فهو يرى الأستار تسدل في وجهه ، والأبواب تغلق دونه ، ولا يجد السبيل إلا إلى حجرة الجلوس ، ولا يلقى إلا (سعادة البك) و (البك) يلقاه كما يلقى

رجلاً غريباً عنه ويحدثه حديثاً فيه التكلف والتصنع ويجلس إليه في فتور وملل . وأحس بأن في الدار حركة لم يتألفها وأن شيئاً يتوارى خلف الأستار المسدلة . ما ذا وراء ؟ وهو قد كان — منذ شهور — يدخل إلى الدار في غير إذن فتفتح الأبواب وترتفع الأستار ويهفو نحوه كل من في الدار في غير تحرج ولاحذر ...

وذهب عادل يتحسس من الأمر وإنه لذو حيلة ورأى فتناهي إليه أن فتاته قد سميت على جلال بن عزت بك وهو ضابط في الجيش وهو من أسرة ذات جاه وثراء ، وإن الدار تموج منذ أيام بمن يهيئون لليوم السعيد يوم أن ترف إلهام إلى جلال

ورجع الفتى إلى داره يلفه الهم ويطويه الأسى وفي نفسه ثورة وكان هائج لا يهدأ ، فهو يذهب ويجيء ويضطرب في الحجرة مثلما اضطرب وحش كاسر في قفص . آه ، يا قيود الإنسانية لو قيض للفتى أن يقذف بك عن عاتقه لزأر زئير سبع غالته الحياة وعضته الأيام ! ولكنك أرغمته على أن يكتم الحيوانية الصريحة فيه ، فهو يضم جوانحه على أتراحه وقلبه يكاد ينشق من فرط الشجن . وحين آده الجهد والإرهاق جلس إلى نفسه يحدثها : « ماذا كان في غيابي ؟ لعلها وجدت فقدي زماناً ثم نسلت ، ولعل أمها قد طلبتني ساعة ثم نسيت ، ولعل (البك) انتظرني حيناً ثم انصرف ! يا لطيشي حين خاصمت هذه الدار وفيها روح قلبي ، ونور عيني ، وجمال حياتي ! هذا ذنبي أحمله وأعاني من وخزاته ما ينوء به ذو الجلد والصبر . ولكن هل أستسلم وأخنع ؟ كلا ! فغداً أجد السبيل إليها وأحدثها حديث قلبي ، ثم أرى ماذا تفعل وما ذا تقول . ولكن كيف أفعل وهي قد سميت على رجل غيري وستصبح — بعد أيام — زوجة وربة دار . إن قلبي لا يستطيع الصبر ولا السلوان ، فغداً أراها وأتحدث إليها » . وانطوى الليل كله فما غمضت عينه ولا هدأت ثائرته ، وفي الصباح انطلق إلى هناك يلقى الفتاة !

وجلس إليها في غير رقبة ولا حذر يحدثها ويعتب عليها وينشر أمامها مكنون قلبه وهي تقول له : « أترى يوم أن تلاقينا في الحديقة منذ سنوات أربع ، لقد أحسست بقلبي يندفع نحوك ، وشعرت روحي تصفق حواليك ، ووجدت — منذ تلك الساعة — لذة الحياة وسعادة القلب ، وخشيت أن أنفض نفسي أمامك ،

وأنت في شغل عني ، فلا أجد منك إلا الاحتقار والاستهان ، وأنا أرسف في أغلال التقاليد وقيود البيت ، وما كان لي — وأنا فتاة فيّ الخفر والحياء — أن أتحدث حديث الحب إلى فتى فيه الشباب ، لم يسع هو إليّ ، ولم يكشف لي عن دوافع قلبه ولا خلجات ضميره » ! وأطرق الفتى ساعة ثم قال : « وما ذا وراء ، وأنا أحبك ملء روحي ، وأراك نور الحياة وشباب القلب ؟ » قالت : « — وحين وافقت على رأى أبي كنت قد خشيت أن تكون قد طردتني من نفسك لأنك نأيت عني ، وخفت أن أطرد خطيبي فأتخلف عن الركب ، وإن شبح ابنة عمي ليضطرب في ناظري كلما ذكرت الخطبة والزواج ، فهي قد نأيت حيناً عن الزوج أنفة منها وصلفاً وهي الآن قد أشرفت على الأربعين ولما تجده ، لقد فاتها الركب ، وتخلفت عن القافلة » . فقال : « فما ذا ترين وأنا لا أجد الصبر عنك ؟ إن عقلي قد ضل فهو لا يهتدي إلى رأي » قالت : « سنرى ، وإن في الوقت فسحة » .

وخرج الفتى ليذر فتاته وحدها في مضطرب من الأفكار يلتهمها الهم ويفريها الأسى ، وهي جالسة في ظلام الحجرة وظلام الأخيلة ، وإن الشيطان ليوسوس لها فلا ترى الحياة إلا عوداً من ثقاب تشعله في ثيابها ، وإلا حبلاً تلفه فوق عنقها ، وإلا نافذة مفتوحة تقذف بنفسها منها . وأصاب الحزن نفسها ، وزعزعتها الحيرة ، فبدت في عيني أمها ذاوية ذابلة ، وهي تلق خطيبها في فتور ، وتحدثه في ملل ، وهي تغدو وتروح في تراخ ، وتقضي حاجاتها في كسل . ونظرت إليها أمها بعيني المرأة والأم معاً ، فتبين لها أن قلبها قد تحول ناحية أخرى ، فراحت تتسلل إلى قلبها في عطف حيناً ، وفي مكر حيناً آخر ، فما لبثت الفتاة أن كشفت لها عن خطرات قلبها ...

وراحت الأم تنبه جلالاً إلى أمر ذي خطر ، وتوحي إلى ابنتها الصغيرة أن تسر إلى عادل أن يقطع صلته بهذا البيت فلا يزوره أبداً ، فهو يخلق بزياراته مشكلة يعضل عليهم حلها .

ووعى الشابان كل ما سمعا . أما عادل فانطلق يلتمس دواء لقلبه ، وأما جلال فراح إلى غريمه يحدثه : « ... وأنت تعلم — يا صاحبي — أنها سميت عليّ ، وأنني أحبها ، وأنني رجل حرب لا أومن إلا بأحد أمرين : الفوز في المركة ، أو الموت ! فأنت حين تضحي تحفظ عليّ حياتي وسعادتي ... » فأجابه عادل في هدوء : « وأنت حين تفوز في المركة تقتلها وتقتلني معها » ! قال جلال : « ولكنني قد أعددت كل شيء ، وتستطيع أنت أن توهمها بأنك لا تليق صباً ، أو أنك تخشى انتقامي » . قال : « وهذا لا أرضاه ، وكيف أرضى أن تنهار كبريائي في نظر الفتاة ، ولا تنس أن رجلاً ثالثاً سيعيش دائماً بينكما . لقد سبقتك إلى قلبها ، وإن كنت أنت سبقتني إلى خطبتها » . قال جلال : « ولكنني أفزع إلى كرمك ورجولتك » . فأجابه عادل : « هذا شيء لا أملكه ، فنبضات قلبي وقلبها تتفقان معاً ، فكيف أستطيع ؟ » فقال جلال في رجاء : « أرجو أن تفكر في الأمر ملياً قبل أن تهدم بيتاً توشك عمده أن تقام على أساس » .

وافترق الشابان ابتغاء أن يقلب كل واحد منهما الرأي ، واتفقا على أن يضحي واحد في سبيل الآخر !

وظل الشابان في تردد وحيرة ، والفتاة في النار لا تجد الخيرة من أمرها ، وهي قد وافقت منذ حين على أن تتزوج من جلال .. فمن عسى أن يضحي يا قارئي العزيز !

كامل محمود حبيب

أحمد حسن الزيات

يقـــدم

دفاع عن البـــلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة .. الخ .

من فصوله البكرة الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد

تذاكر السفر بالسكك الحديدية

المنصرفة بالتخفيض لزائرى المعرض الزراعى الصناعى بمدينة القاهرة

يتشرف المدير العام بإعلان حضرات زائرى المعرض الزراعى الصناعى العام القادمين من الجهات البعيدة بالوجه القبلى بأنه تسهيلا لحضراتهم ، قد تقرر اعتباراً من يوم السبت ٥ مارس سنة ١٩٤٩ امتداد تذاكر السفر المنصرفة لزيارة المعرض للعودة خلال ثلاثة أسابيع للقادمين من المحطات بمديريتى أسوان وقنا وأسبوعين للقادمين من مديريتى جرجا وأسيوط .

ويشترط فى هذه الحالة أن تقدم التذاكر لمحطات مصر أو امبابة أو بولاق الدكرور أو الجيزة بحسب الحالة لاعتمادها من ناظر المحطة قبل السفر .

كما تقرر أن يسرى التخفيض المقرر لزائرى المعرض على أنصاف التذاكر المنصرفة للأطفال ، وكذلك على التذاكر المنصرفة بموجب استمارات أو تصاريح مخفضة أو بنصف أجرة لرجال الجيش والبوليس مع تحصيل رسم دخول المعرض بالكامل نقداً فى كل الأحوال .

مطبعة الرسالة